



عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي

دراسة وتحقيق سورة آل عمران (75 - 93)

سمر محمود عارف حمد

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1446هـ - 2024م

حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي

دراسة وتحقيق سورة آل عمران (74 - 92)

إعداد:

سمر محمود عارف حمد

بكالوريوس أصول دين من جامعة القدس / فلسطين

المشرف: الدكتور محمد يوسف الديك

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين من

دائرة الدعوة وأصول الدين، كلية الدراسات العليا في جامعة القدس

1446هـ - 2024م



جامعة القدس
عمادة الدراسات العليا
برنامج ماجستير أصول دين

إجازة الرسالة

حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي
دراسة وتحقيق سورة آل عمران (74 - 92)

اسم الطالب: سمر محمود عارف حمد
الرقم الجامعي: 21312034

المشرف: الدكتور محمد يوسف الديك

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ: 2024/8/18 من أعضاء لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم
وتواقيعهم:

1. رئيس لجنة المناقشة: د. محمد يوسف الديك

2. ممتحناً داخلياً: د. حمزة ذيب

3. ممتحناً خارجياً: د. تمام الشاعر

التوقيع:.....

التوقيع:

التوقيع:

القدس - فلسطين

1446 هـ - 2024 م

الإهداء

إلى خير من خلق الله ... إمامي وسيدي وقائدي
نبي الأمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم
إلى من شرفوا هذا الوطن الشهداء الأبرار وفي مقدمتهم القائد إسماعيل هنية والشيخ صالح العاروري
وإخوانهم
إلى من غمروني بحنانهم وفضلهم، وسهروا على تربيتي بدون مقابل
إلى روح أمي الغالية رحمها الله
إلى كل رفقاء درب ذات الشوكة، إلى كل إخواني في كل بقاع الدنيا

الباحثة:

سمر حمد

إقرار

أقرّ أنا مقدّم الرسالة أنها قدمت لجامعة القدس، لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تم الإشارة له حيثما ورد، أن هذه الرسالة أو جزء منها لم يقدم لنيل أي درجة عليا لأي جامعة أو معهد آخر.

التوقيع:

الاسم: سمر محمود عارف حمد.

التاريخ: 2024/8/18

الشكر والتقدير

الحمد والشكر من قبل ومن بعد لصاحب كل فضل، ومنزل كل خير، من هدايا ووقفنا وغفر لنا الله سبحانه وتعالى.

أقدم بالشكر الجزيل من أعماق روعي إلى مشرفي وأستاذي الدكتور محمد يوسف الديك حفظه الله، الذي له فضل جليل في كل مراحل دراستي للعلوم الشرعية، ولا أنسى فضله في مراحل هامة ومصيرية من حياتي لا يعلمها إلا الله، وأسأل الله أن يجزيه خير الجزاء على كل ما قدمه.

الشكر موصول لأساتذتي الذين تشرفت بالتلمذ على موائدهم .

الباحثة

سمر حمد

المخلص

تشتمل هذه الرسالة على دراسة وتحقيق لتفسير الآيات 74-92 من سورة آل عمران، من حاشية محمد محيي الدين بن مصطفى القوجوي الشهير بـ "شيخ زاده" على تفسير القاضي البيضاوي: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل".

وهذه الحاشية من أكثر حواشي البيضاوي احتواء على الفوائد اللغوية والنقولات الهامة، وأعمقها سبرا لأغوار النص الأصلي.

وقد هدفت هذه الرسالة إلى تحقيق حاشية شيخ زاده تحقيقا علميا، حسب أصول علم تحقيق المخطوطات، والعمل على إخراج هذا المرجع القيم بصورة كما يرغب بها صاحبها، وتقديم إلى طلبية العلم نصا ثريا يساهم في دراساتهم وأبحاثهم.

وقد سارت هذه الدراسة على المنهج الوصفي؛ وتم ذلك بالرجوع إلى النسخ المخطوطة من (حاشية شيخ زاده)، وتحقيق نصوصها وفق المنهج المتبع في تحقيق المخطوطات. والمنهج التاريخي من خلال الترجمة للأعلام الذين وردت أسماؤهم في الرسالة. والمنهج التحليلي الاستنباطي؛ وذلك باستنباط الدلالات والفوائد المختلفة من خلال تحقيق نص الحاشية.

وقسمت هذه الدراسة إلى فصلين: الأول: فصل الدراسة، وفيه منهج تحقيق حاشية محيي الدين شيخ زاده. والثاني: فصل التحقيق وفيه الجزء المحقق من الحاشية مقابلاً على أربع نسخ مخطوطة من الكتاب، من عمل الفهارس العلمية التي تسهل استعمال الكتاب والرجوع إليه.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج، من أبرزها: أن حاشية شيخ زاده مهمة وتحتاج مكتبة التفسير إليها محققة تحقيقا علميا دقيقا.

وأوصي بالعمل على استكمال مشروع تحقيق حاشية شيخ زاده كاملة تحقيقا علميا دقيقا حسب أصول علم تحقيق المخطوطات.

Hasheya of mohammad mohi sheikh zadeh on the interpretation of Al-Qadi Al-Baydawi on the study and verification of the verses 52-74 of surat al-imran

Prepared by: Samar Mahmoud Arif Hamad.

Supervised by: d. Mohammad Yousef al-Diek.

Abstract

This master dissertation includes a study and verification to explain the verses 74-92 of surat Al-Imran, from Al-Hasheya (postscript) of Mohammad Mohi Al-ddin Ben Mustafa Alkojawi known as 'al-sheikh zadeh' on the interpretation of Al-Qadi Al-Baydawi <<Anwar Al-Tanzeel wa Asrar Al-Taaweel>>.

This postscript is one of the most valuable interpretation of Al-Baydawi ; as its scientific in the first place, and it includes various linguistic , ideological , mental science and others, in which Al- sheikh Zadeh brought together the brevity , accuracy and the clarity of the expression.

This study was aimed to achieve the study of Sheikh Zadeh' s postscript scientifically, according to the jurisprudence of manuscript studies , and the work to get that valuable reference perfectly , and by making it easier for students to access its knowledge; as there were several printed that are not serviced.

This study was done on the descriptive approach; and by reference to the copies of the manuscript of (Sheikh Zadeh's postscript), and the verification of its provisions in accordance with the approach taken in the manuscripts. As well as the historical approach; by mentioning information regarding to the era of the author (Sheikh Zadeh) , his elderly and students, as well as through the translation.

of those famous people named in the dissertation . Also, the deductive and analytical approach were applied in this dissertation; and by setting up different connotations and benefits through the realization of the postscript.

This study is with two sections: The first one is the study section, it's about the study of the author and the book. The researcher showed the life of Sheikh Zadeh, his scientific journey, and the situation prevailing in his time, and she also showed the status of the book, its importance, the verification of his name and the rate of the author. The second is the verification section. It has the

verified part of the postscript corresponding four copies of the manuscript of the book and working on the scientific indexes that facilitate the use of the book and how to refer to it.

The study found a number of results, notably: Sheikh Zadeh's postscript is rich with various sciences, and in particular the language and interpretation of science, and that the Islamic library is in need; because of its abundant science, and great value.

I recommend the full completing achievement of Sheikh Zadeh's postscript scientifically and accurately as the jurisprudence of the manuscripts.

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، وجعل العلم عدة السائرين اليه في زحام الحياة، الحمد لله الذي جعل العقل ذخيرة الساعين للاستخلاف والتعمير، والصلاة والسلام على سيدي وحبيبي وشفيعي سيد الأنام الذي جعله الله ضياء ونورا نهدي به في عتمة الضلال ونسترشد بهديه لننجو من الفتن.

وبعد: فإن علم التفسير بحر واسع مترام عميق ، فيه من الخير والعلم ما ينفع الناس، تعددت كتبه وتتنوعت مدارسه وتباينت أساليبه ووسائله ولعل تفسير الإمام البيضاوي، يعد من أهم المراجع في علم التفسير، وقد جمع فيه بين الاختصار والتبيين المحكم، وقد تناولته الأمة بالدراسة والبيان والتحشية، ومن أهم الحواشي عليه: حاشية محيي الدين شيخ زاده، الذي تعددت فوائده وتتنوعت فنونه، ومع الأسف لم تلق هذه الحاشية الاهتمام الذي تستحق فنراها طبعت في عدة نسخ تقتصر الى التحقيق العلمي الموثوق الذي يخرجها بالصورة المفيدة النافعة.

ومن هنا ظهرت أهمية إيجاد نسخة من هذه الحاشية محققة فجاءت هذه الدراسة امتدادا لمشروع الزملاء الطلبة الذين بدأوا المشوار في تحقيق هذه الحاشية، فجمعت النسخ وشرعت في إخراج الحاشية، إخراجا يليق بمكانتها العظيمة، ويفيد الباحثين مما فيها من علم نافع .

وقد قسمت عملي حسب الأصول إلى قسمين:

القسم الأول: قسم الدراسة

القسم الثاني: قسم التحقيق

أولا: أسباب اختيار الموضوع:

اخترت الكتابة في تحقيق حاشية شيخ زاده لتفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، لأسباب عديدة على رأسها علو منزلة دراسة القرآن الكريم، والحاجة الملحة لتقريب تراث الأمة الزاخر للأجيال المعاصرة في أفضل صورة، وخاصة أنّ التراث يتعرض لهجمة من الحداثيين وأتباعهم، وأهم مباحث

التراث هو علم التفسير، وقد اخترت تفسير البيضاوي اكمالاً لجهود الأخوات والإخوة الذين سبقوني وبدأوا في افتتاح هذا المشروع المبارك.

فقد كتب البيضاوي تفسيره في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، ومن شدة ما لقي من قبول وعناية كثرت الحواشي التي كتبت عليه منها:-

• حاشية الشهاب الخفاجي.

• حاشية عبد الحكيم السالكوتي.

• حاشية الشيخ زاده.

وشيوخ زاده هو محمد محيي الدين بن مصطفى مصلح الدين القوجوي¹، وألف حاشيته في مسجده وكانت جامعة لشتى الفنون ولأقاها الناس بالقبول، وجمعت متفرقات الفوائد من شتى الكتب والتفاسير الهامة، وتوفي فيما هو راجح في معجم المؤلفين في سنة تسعمائة وخمسين للهجرة.

ثانياً: أهمية الموضوع:

- المكانة العظيمة والقيمة العلمية الشامخة التي تبوؤها تفسير البيضاوي في علم التفسير .
- عدم اعطاء حاشية محيي الدين شيخ زاده العناية والأهمية التي تستحق ، حيث إنها لم تحقق ولم تخرج بالصورة التي تجعل منها وثيقة علمية نافعة لأهل التفسير ومريديه .
- الفائدة الكبيرة التي ستضاف لمكتبة التفسير وعلمه بإضافة حاشية بن زاده محققة اليه.
- أهمية تفسير البيضاوي، الذي يعد من أعمدة كتب التفسير ،ممثلة مدرسة من المدارس الرائدة في تفسير القرآن الكريم واستخراج حكمه ودرره فقد أثنى على تفسير البيضاوي كبار علماء الأمة، ومنهم جلال الدين السيوطي حيث قال: " وسيد المختصرات منه كتاب " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " للقاضي ناصر الدين البيضاوي، لخصه² فأجاد، وأتى بكل مستجاد، وماز منه أماكن الاعتزال، وطرح مواضع الدسائس وأزال، وحرر مهمات، واستدرك تتمات، فبرز كأنه سبيكة نُصّر،

¹ الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، ج7ص99، ط الخامسة عشر، 2002م، دار العلم للملايين.

² الضمير هنا عائد الى كتاب الكشاف .

واشتهر اشتهاً الشمس في وسط النهار، وعكف عليه العاكفون، ولهج بذكر محاسنه الواصفون، وذاق طعم دقائقه العارفون، فأكَبَّ عليه العلماء والفضلاء تدريسا ومطالعة¹.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

من خلال القيام بالتحقيق أرجو أن أحقق الأهداف التالية:

1. دراسة وتوثيق و تحقيق الآيات من (74-92) من سورة ال عمران من مخطوط حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي، تحقيقاً علمياً مراعيًا شروط التحقيق والبحث العلمي المعتمد .
2. الحرص على أن يكون لي سهم في تطافر الجهود من أجل إكمال تحقيق المخطوط كاملاً وإخراجه لاستفادة الباحثين والدراسين في علم التفسير منه ان شاء الله .

رابعاً: الدراسات السابقة:

لقد تبين لي بعد البحث أن هذه الحاشية لم تحقق تحقيقاً علمياً منضبطاً ، ولكن طبع عدة طبعات تفتقر الى التحقيق والتوثيق العلمي المعتمد النافع لعلم التفسير وأهله. وقامت الأستاذة ليلي خالد والأستاذة فداء مفارجة والأستاذ ناصر حمد بكتابة رسائلهم لنيل درجة الماجستير في جامعة القدس في تحقيق الآيات الأولى من سورة آل عمران.

خامساً: مشكلة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة لتجيب عن الأسئلة التالية:

1. ما مكانة تفسير البيضاوي في علم التفسير؟
2. ما أهمية حاشية محيي الدين شيخ زاده؟
3. ما الجديد الذي أضافه الشيخ زاده بحاشيته على البيضاوي لمكتبة علم التفسير؟
4. ما أهم القضايا التي تضمنتها الآيات الكريمة المحققة؟
5. ما أهم أقوال أهل التفسير المعتمدين مقارنة بما كتبه شيخ زاده في تفسيره للآيات المراد تحقيقها؟

¹ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار، ج1ص13، 1424 هـ - 2005 م، جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين.

منهجية الرسالة:

المنهج المتبع في تحقيق هذا المخطوط :-

- 1- المنهج الوصفي، المتمثل بالرجوع إلى النسخ المخطوطة من (حاشية شيخ زاده)، وتحقيق نصوصها وفق المنهج المتبع في تحقيق المخطوطات.
- 2- المنهج التحليلي الاستنباطي، والمتمثل باستنباط الدلالات والفوائد المختلفة من خلال تحقيق نص الحاشية.

حدود البحث:

تعتبر هذه الدراسة محدودة بتحقيق جزء من حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي، من الآية أربعة وسبعون وحتى الآية إثتان وتسعون من سورة آل عمران.

نسخ المخطوط:

بعد البحث في فهارس المراكز المراجعة العالمية للمخطوطات تبين لي وجود كثير من نسخ المخطوطة، بعضها كامل، وكثير منها مقتصر على سورة أو سور معينة، ومن هذه النسخ:

1. نسخة موجودة في مكتبة ولي الدين جار الله في استانبول وهي نسخة المؤلف.

رقم المخطوط في المكتبة: 167.

الأوراق: 6 مجلد.

تاريخ الكتابة: 953هـ. أي قبل وفاة المؤلف.

2. نسخة موجودة في مكتبة كوبريلي زاده في استانبول.

رقم المخطوط في المكتبة: 173.

الأوراق: 521.

تاريخ الكتابة: 943هـ. أي قبل وفاة المؤلف.

3. تسع نسخ موجودة في المكتبة الظاهرية في دمشق.

بعضها قبل وفاة المؤلف، وأخرى بع وفاته.

4. نسخة موجودة في مكتبة غازي خسرو في سراييفو.

- رقم المخطوط في المكتبة: 4022.
عدد الأوراق: 45.
تاريخ الكتابة: 946هـ. أي قبل وفاة المؤلف.
5. نسخ موجودة في مكتبة كوبريلي زاده في استانبول.
رقم المخطوط في المكتبة: 172.
عدد الأوراق: 706.
تاريخ الكتابة: 951هـ. في العام الذي توفي فيه المؤلف.
6. نسخة موجودة في مكتبة خدابخش في بيته.
(من سورة آل عمران إلى سورة الأنعام).
رقم المخطوط في المكتبة: 1390.
عدد الأوراق: 366.
8. نسخة موجودة في المكتبة الأزهرية في القاهرة.
رقم المخطوط: 1896 (الأمبابي)، 48149.
عدد الأوراق: مجلد 1: 274، مجلد 2: 216، مجلد 3: 149، مجلد 4: 176، مجلد 5: 361.
تاريخ الكتابة: 957هـ.
9. نسخة موجودة في مكتبة رامبو في الهند.
رقم المخطوط في المكتبة: 462 التفسير / 11406.
عدد الأوراق: 279.
تاريخ الكتابة: 964هـ.

خطة الرسالة:

جاءت هذه الدراسة في فصلين اثنين:

الفصل الأول: دراسة الحاشية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: قيمة الحاشية وتوثيق نسبتها إلى المؤلف.

المبحث الثاني: منهجية التحقيق.

ولم أتطرق إلى دراسة المؤلف ولا منهجية الحاشية؛ لأنها مباحث تم بحثها من قبل الباحثة: ليلى خالد عبد العزيز جغمة¹. والباحثة: فداء مفارحة². في رسالتيهما والتي تناولت تحقيق القسم الأول من سورة آل عمران، فمنا للتكرار قمت بالتركيز على تحقيق النص، وهذا ما أوصت به لجنة برنامج ماجستير أصول الدين بهذا الخصوص.

الفصل الثاني: النص المحقق.

ويشتمل هذا القسم على تحقيق نص المخطوطة، وعلى الفهارس العلمية التي ألحقت بالرسالة.

¹ أنظر: جغمة، ليلى خالد عبد العزيز، حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي دراسة وتحقيق سورة آل عمران الآيات (1-22)، رسالة ماجستير، ص19-25، جامعة القدس، القدس/فلسطين، 1438هـ/2017م.

الفصل الأول:

دراسة الحاشية

الفصل الأول

دراسة الحاشية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: قيمة الحاشية العلمية وتوثيق نسبتها إلى المؤلف.

يهدف هذا المبحث لتوضيح القيمة العلمية للحاشية، وقد اعتمد في تحقيق عنوانها بناء على النسخ المتعددة في المكتبات حول العالم، وقد وثقت نسبة الكتاب إلى المؤلف المذكور محيي الدين القوجوي الشهير بـ (شيخ زاده)، وذلك كما ورد في مقدمة النسخ المعتمدة¹، وبعدها تم الوقوف على قيمة الحاشية العلمية لما فيها من فوائد عظيمة، وشمولها على علوم متعددة. وللوصول لهذه الغاية قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب:

¹ أنظر: مقدمة الرسالة ص: ج، ح، خ.

المطلب الأول: تحقيق عنوان الحاشية:

مكتوب على غلاف النسخة الأصل¹ "حاشية تفسير القاضي لمولانا المشهور بـ شيخ زاده".
وأما في النسخ المتعددة في المكتبات حول العالم، وجاء اسم الحاشية على صيغ متعددة وهي على النحو الآتي:

1. حاشية شيخ زاده على أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوي، وكذا ذكر اسمها في نسخة مكتبة الحرم المكي في المملكة العربية السعودية، ودار الكتب القطرية في قطر، ومكتبة البابليين في العراق².
2. حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي، كذا وردت في نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية³.
3. حاشية تفسير شيخ زاده على تفسير البيضاوي، كذا ذكرت في نسخة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية⁴.
4. حاشية الشيخ زاده على البيضاوي، كذا ذكرت في نسخة الملك فيصل في المملكة العربية السعودية⁵.
5. حاشية على تفسير البيضاوي، كذلك ذكرت في نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية⁶.
6. حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل، كذا وردت في نسخة أخرى في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية⁷.

¹ هي النسخة المكتوبة بخط المؤلف والتي اعتمدها كأصل لضبط النص، وقد وضحت ما يتعلق في هذه النسخة في مبحث وصف نسخ المخطوط. أنظر: ص 7.

² أنظر: الخيمي، صلاح محمد، فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية، ج3 ص246-247، مجمع اللغة العربية، دمشق. خزانة التراث، 949/55.

³ خزانة التراث، ج1 ص953.

⁴ المصدر نفسه، ج2 ص904.

⁵ المصدر نفسه، ج2 ص672.

⁶ المصدر نفسه، 12/56.

⁷ المصدر نفسه، 278/108.

7. حاشية القوجوي على تفسير البيضاوي¹.

8. حاشية محيي الدين على البيضاوي، كذا وردت في معجم المطبوعات العربية².

المطلب الثاني: توثيق نسبة الكتاب للمؤلف

نجد في بداية الصفحة الأولى من النسخة الأصلية مكتوبا بيد المؤلف: "حاشية تفسير القاضي لمولانا المشهور بشيخ زاده".

وكذا أوضحت النسخ المختلفة التي ورد ذكرها سابقا، فمن النسخ من أسمتها بحاشية محيي الدين شيخ زاده، ومنها من سماها بحاشية القوجوي، وهذا يؤكد نسبة الحاشية لمولانا المشهور محيي الدين القوجوي شيخ زاده رحمه الله.

وكتب على نسخة مكتبة فيض الله أفندي بتركيا والتي قد رمز لها الباحث "ر" على الصفحة الأولى من الحاشية ما يلي: "حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي للمولى العالم الكامل الفاضل محيي الدين محمد بن الشيخ العارف بالله الشيخ مصلح الدين القوجوي".

¹ المصدر نفسه، 4/47. 4/869. 11/813. 12/360. 13/182.

² سركيس، يوسف بن إيلان، معجم المطبوعات العربية، ج2ص1166، ط: بدون، 1346هـ-1928م، مطبعة سركيس، مصر.

المبحث الثاني: منهج محيي الدين شيخ زاده في التفسير من خلال دراسة تحليلية لآيات آل عمران 74-92)

يُعَدُّ محيي الدين محمد بن مصطفى القوجوي الشهير بشيخ زاده (ت 1078هـ/1667م) أحد العلماء البارزين الذين اشتغلوا بتفسير القرآن وعلومه. وترك حاشية قيّمة على تفسير الإمام البيضاوي «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» امتازت بسعة مادتها العلمية وعمق تناولها للنص. وتُظهِر حاشية شيخ زاده عنايةً فائقةً بالجوانب اللغوية والنحوية والبلاغية، إلى جانب اهتمامها بالنقول عن السلف والتفاسير بالمأثور، كما تعكس منهجًا عقليًا معتدلًا في مناقشة القضايا الكلامية، وتعرض للمسائل الفقهية والعقدية بميزان الترجيح العلمي عند الحاجة. سنحلّل في هذه الدراسة منهج شيخ زاده في تفسيره، بالاستناد إلى ما ورد في حاشيته على البيضاوي في تفسير آيات سورة آل عمران من الآية 74 إلى الآية 92 ضمن النسخة المحقّقة. ونبرز العناصر الخمسة التالية: الأسلوب اللغوي والنحوي والبلاغي، واعتماده على التفسير بالمأثور وأقوال من سبقه، ومعالم منهجه العقلي والكلامي واستخدامه للدليل العقلي، وموقفه من المسائل الفقهية والعقدية وأسلوبه في الترجيح، وأخيرًا مصادره التفسيرية واللغوية والعقدية التي اعتمد عليها.

أولاً: الأسلوب اللغوي والنحوي والبلاغي في حاشية شيخ زاده

برز شيخ زاده في حاشيته بصفته لغويًا ونحويًا ضليعًا وبلاغيًا مطلعًا على دقائق التعبير القرآني. فقد حظيت حاشيته بوفرة من الفوائد اللغوية التي تخدم فهم ألفاظ القرآن، وتعمّق في تحليل التراكيب النحوية ووجوه الإعراب، فضلًا عن استنباطه لطائف بلاغية من أساليب القرآن اعتمد شيخ زاده منهجية التفصيل والشرح لما أجمله البيضاوي؛ فبعد أن كان تفسير البيضاوي نفسه مشهورًا باختصاره الجامع من الكشاف في اللغة والبيان، والتفسير الكبير للرازي في الحكمة والكلام، والراغب في مفردات القرآن، جاء شيخ زاده ليثري ذلك المختصر بشرح عباراته وكشف غوامضه وإضافة استدلالات وتعليقات مفيدة.

فعلى الصعيد اللغوي نجده يُفسّر المفردات الغريبة أو المهمة بذكر أقوال العلماء في معناها. على سبيل المثال، عند تفسيره لفظ: القنطار في قوله تعالى: ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدّه إليك﴾ [آل عمران: 75]، نقل أقوالًا متعددة في معناه. فقد ذكر أنه قيل «إنه ألفٌ ومائتا أوقية»

واستدل على ذلك بسبب نزول الآية في قصة عبد الله بن سلام رضي الله عنه حين أودعه رجلًا من قريش 1200 أوقية من الذهب فأدّاها إليه دون خيانة. ثم أورد رواية ابن عباس رضي الله عنهما : «القنطار ملء مسك ثورٍ من المال»، وقولاً آخر إنه ألف ألف دينار أو ألف ألف درهم ، مع شرحه أن الأوقية في العرف القديم أربعون درهماً، أما في عصره فتعادل وزن عشرة دراهم وخمسة أسباع الدرهم . هذا العرض يُظهر دقّة شيخ زاده في التحرير اللغوي وجمعه بين الروايات المأثورة والتقدير الحاسبية لوزن النقد، مما يوضح المعنى للقارئ ويربطه بسياقه التاريخي¹.

أما على الصعيد النحوي، فقد اعتنى شيخ زاده بإعراب التراكيب القرآنية وبيان الوظائف النحوية لمفرداتها، خاصة حين يحتمل التركيب أكثر من وجه إعرابي. فهو كثيرًا ما يبيّن محل الجملة من الإعراب أو مرجع الضمائر وكيفية ارتباطها. فعند تفسير قوله تعالى: ﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعًا وكرهًا وإليه يرجعون﴾ [آل عمران: 83]، نجده يوضّح إعراب جملة ﴿وإليه يُرجعون﴾ ووجوه ارتباطها بما قبلها. يقول: يُحتمل أن تكون (وإليه يرجعون) مستأنفة لا محل لها من الإعراب، ويُحتمل أيضًا أن تكون معطوفة على قوله (وله أسلم) فتكون في محل نصب حالًا، بمعنى: يبغون غير دين الله والحال أنّ كل من في السماوات والأرض قد أسلم له... وإليه يرجعون. ثم يشير إلى اختلاف القراءات المتعلقة بهذه الجملة: ففي قراءة حفص عن عاصم جاءت ﴿يرجعون﴾ بالياء على الغيبة (أي يرجعون بدل ترجعون)، ووجه ذلك عنده أنه إما بإسناد الفعل إلى ضمير يعود على فاعل يبغون أو إلى الضمير المستتر العائد على من في من في السماوات. يتضح هنا اهتمام شيخ زاده بذكر القراءات القرآنية المختلفة وأثرها في التوجيه النحوي والمعنوي؛ فقد بنى على قراءة الجمهور (حفص) توجيهًا معيّنًا، مما يدل على سعة معرفته في علم القراءات وتوظيفها في التفسير النحوي².

إضافة إلى ذلك، اهتمّ شيخ زاده بشرح العبارات المشكّلة لدى البيضاوي في جوانب النحو. فمثلاً، يشرح استعمال حروف الجر ودلالاتها كما في قوله في الآية 75 «الباء في مثل قولهم: أمنت بهكذا للإصاق؛ لأن من أوتمن على شيء - «...» مبيّنًا دور حرف الجر الباء هنا. كما أنه يستخرج دقائق

¹ أنظر: النص المحقق ص 45.

² أنظر: النص المحقق ص 53.

التفريق بين الجُمْل الاسمية والفعلية وآثار ذلك في المعنى، وكثيرًا ما يستخدم اصطلاحات النحاة ويُحيل على آرائهم عند الحاجة.

على الصعيد البلاغي، تظهر في حاشية شيخ زاده ملامح بلاغية مهمة استقاها من الكشاف وغيره، مع شرح وتوضيح. من ذلك **التفات الخطاب** في القرآن: فقد أشار مثلاً إلى الانتقال في الآيات من خطاب أهل الكتاب إلى خطاب المسلمين على سبيل الالتفات البلاغي. في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ بِالْكَفْرِ﴾ [آل عمران: 80]، يقول إن **الخطاب بطريق الالتفات للمسلمين**، أي انتقل الكلام من مخاطبة أهل الكتاب في سياق الردّ على دعوى ألوهية عيسى عليه السلام إلى مخاطبة المؤمنين تحذيرًا وتنبهًا. هذا بيان لجماليات الأسلوب القرآني في التنقل بين صيغ الخطاب لتحقيق أغراض بيانية، وهو ما نبّه عليه شيخ زاده ليساعد القارئ على تدبر المعنى البلاغي العميق¹.

كما يناقش شيخ زاده أحيانًا أسرار تقديم بعض الكلمات وتأخيرها في الآيات ودلالات ذلك. فعلى سبيل المثال، في سياق شرحه لقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 84] وما تبعه من تقرير أن الدين عند الله الإسلام، أشار إلى أن **تقديم الضمير (نحن) وشبه الجملة (له)** يفيد الحصر، أي قصر الإسلام والخضوع على الله تعالى وحده. ثم بيّن بناءً على ذلك «أن الدين هو الإسلام والانتقياد، وأن كل دينٍ سوى الإسلام غير مقبول عند الله، وأن صاحبه من الخاسرين في الآخرة. فهذا تحليل بلاغي يربط تركيب الجملة (تقديم ما حقه التأخير) بالمعنى العقدي المستفاد (انحصار القبول في دين الإسلام)، وهو منهج أخذ به شيخ زاده تأسيًا بصنيع الزمخشري في كشف الأسرار البلاغية للنص.

وخلاصة القول، يتسم أسلوب شيخ زاده اللغوي والنحوي والبلاغي بالشمول والدقة. فهو يفسّر اللفظة ويوضح تركيبها ضمن الجملة، ويبرز محاسن البيان القرآني من خلال أمثلة كالالتفات البلاغي والتقديم والتأخير والحذف والإضمار، مستفيدًا في ذلك من مادته التراثية الثرية. وجعل كل ذلك بلغة علمية واضحة تجمع بين الإيجاز وعدم الإخلال، تحقيقًا لما وصف هو به حاشيته من الجمع بين الإيجاز والدقة ووضوح العبارة. كل هذا جعل تعليقاته عونًا لطالب العلم في فهم متن البيضاوي وكشف مراميه.

¹ أنظر: النص المحقق ص32.

ثانياً: اعتماد شيخ زاده على التفسير بالمأثور وأقوال السلف

على الرغم من تمكّن شيخ زاده العقلي والنحوي، إلا أنه لم يُهمل أبداً التفسير بالمأثور ونقل أقوال السلف والمفسرين السابقين، بل اعتمد عليها اعتماداً ظاهراً في حاشيته لإثراء المعنى وتوثيقه. حاشية شيخ زاده حافلة بالنقول عن الصحابة والتابعين وأئمة التفسير، مما يضع القارئ في سياق امتداد سلسلة التفسير عبر الأجيال. وقد وصف الباحثون حاشيته بكونها من أكثر الحواشي احتواءً على النقول المهمة عن من سبق.

يتجلى ذلك بوضوح في أمثلة عدة. فقد مرّ معنا نقله لقصة سبب النزول في الآية 75 المتعلقة بأمانة عبد الله بن سلام رضي الله عنه وردّه للأوقيات من الذهب. هذه القصة رواها عن السلف لتوضيح المقصود بـ القنطار، وتفسير اختلاف حال أهل الكتاب في الأمانة، ونقل عن ابن عباس أقوالاً متعددة في معنى القنطار كما سبق، مما يدل على اهتمامه بروايات الصحابة في التفسير اللغوي والبياني¹.

وفي تفسيره للآية 78: ﴿وإن منهم لفرقة يلون بأسنتهم بالكتاب...﴾، اعتمد شيخ زاده أيضاً على رواية مأثورة عن ابن عباس في تحديد المراد بـ«تحريف أهل الكتاب بأسنتهم». فقد قال: «إنّ الفريق الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم هم الذين كتبوا كتاباً خطوا فيه نعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بغير حق، ثم قالوا: هو من عند الله. «هذه الرواية المرفوعة لابن عباس تشرح كيفية «لي اللسان بالكتاب» بأنه تحريف متعمّد لوصف النبي (صلى الله عليه وسلم) في التوراة، وهي منقولة في تفاسير السلف. اعتماد شيخ زاده عليها يبرز حرصه على التفسير بالمأثور في بيان معاني الآيات الغامضة وكشف مقاصدها التاريخية².

كذلك عند تفسيره للآية 93: ﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تُنزل التوراة﴾، نجده ينقل قولاً مأثوراً عن ابن عباس يفسّر سبب تحريم يعقوب (إسرائيل) لبعض الطعام على نفسه. يقول ابن عباس -كما نقل شيخ زاده-: «إن يعقوب عليه السلام لما أصابه مرض عرق النسا، وصف له الأطباء أن يجتنب لحم الإبل، فحرّمه على نفسه للتداوي بإشارة الأطباء لا لمحض التعبد هذا الأثر يوضح أن التحريم هنا كان لسبب طبي لا تشريع تعبدى، وقد ذكرته كتب التفسير كتفسير الطبري وغيره إيراد شيخ زاده لهذا القول يدل على تتبعه لأقوال السلف المروية في

¹ أنظر النص المحقق: ص 53.

² أنظر النص المحقق: ص 57.

القصص القرآني واعتماده عليها في حل الإشكالات (كاستغراب بعضهم: كيف يحرم نبي طعاماً من غير شريعة؟ فجاء الجواب أنه تحريم للتداوي لا للتشريع)¹.

كما يُكثر شيخ زاده من استعمال لفظ (قيل) و(روي) للإشارة إلى الأقوال المأثورة. نجده مثلاً يقول: قيل معناه أنه تعالى أخذ الميثاق من النبيين وأمهم ، وقيل المراد أولاد النبيين، أو سماهم نبيين تهكمًا...» عند بيانه لتفسير ميثاق النبيين في الآية 81. كذلك أشار إلى قول **القفال** (وهو أحد المفسرين من القرن الرابع الهجري) في معنى «يلوون ألسنتهم بالكتاب» بأن المراد تحريف الكلام بتغيير حركات الإعراب دون تبديل الألفاظ. نقله عن القفال الشاشي (أحد علماء التفسير والفقهاء) مثلاً على اعتماد شيخ زاده على كتب التفسير السابقة؛ فالقفال ذكر هذا المعنى في تفسيره، وتبعه الإمام الرازي أيضاً ، ويأتي شيخ زاده ليورده في حاشيته تعزيزاً للفهم².

ويتضح من منهج شيخ زاده أنه **يجمع بين المأثور والمعقول**، فلا يكتفي بتحقيق المسائل عقلاً ولغةً فقط، بل يُلبس تفسيره حلّة تراثية أصيلة بنقل أقوال السلف. وهو في هذا أقرب إلى منهج المفسرين الجامعين كالإمام الطبري. بل نجد أحياناً إشارات تدل على موازنته بين الروايات، كأن يشير ضمناً لضعف إحداها أو قوتها. فمثلاً، بعد أن ذكر قصة عبدالله بن سلام في رد الأمانة، أتبعها بأقوال أخرى في مقدار القنطار (كقول ابن عباس وقول بعضهم إنه ألف ألف دينار)، مما يوحي بأنه لا **يجزم برأي دون آخر إلا بدليل**. وربما لو وجد رواية واهية نبّه على ضعفها – وإن لم يظهر ذلك جلياً في الجزء المحقق – لكن حسّه النقدي المذكور في نتائج البحث يدل على تمييزه بين الروايات³.

خلاصة الأمر أن شيخ زاده اعتمد اعتماداً كبيراً على **الموروث التفسيري**: أقوال الصحابة (ابن عباس مثلاً) والتابعين، وأقوال أئمة التفسير كقتادة ومجاهد والضحاك والسدي وغيرهم (مما كان البيضاوي ينقله باختصار أو تلميح)، فجاء هو وبسط تلك الأقوال أو أضاف عليها، مسنداً كل قول إلى قائله قدر الإمكان. وكان حريصاً على **توثيق هذه النقول من مصادرها** في تحقيقه الحديث بهذا المنهج حافظ على صلة التفسير بالمنهج **النقلي الأثري** جنباً إلى جنب مع التحليل العقلي واللغوي.

¹ أنظر النص المحقق ص95.

² أنظر: النص المحقق ص51.

³ أنظر: النص المحقق ص74.

ثالثاً: موقف شيخ زاده من المسائل الفقهية والعقدية وأسلوبه في الترجيح

مع أن اهتمام حاشية شيخ زاده الأول كانت بيان معاني القرآن ولغته، إلا أنها لم تخلُ من التعرض للمسائل الفقهية والعقدية كلما دعت الحاجة، لا سيما عند ورود آية ذات بعد فقهي أو عقدي أو اختلاف في التفسير يُفضي إلى تبعات فقهية أو إيمانية. ويمكن رصد منهجه في تناول هذه المسائل من خلال أمثلة ضمن آيات آل عمران: (93-75)

في المسائل العقدية: يظهر أن شيخ زاده كان ملتزماً بمعتقد أهل السنة والجماعة (بحكم كونه فقيهاً حنفياً من علماء الدولة العثمانية وشيخ الإسلام في زمنه). لذلك تجده يؤكد على الحقائق العقدية المقررة ويدفع أي تفسير متعارض معها. من ذلك إبرازه لعقيدة خاتمية الإسلام وعالميته عند تفسير قوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران: 19] وما يرتبط بها من قوله: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه﴾ [آل عمران: 85]. فقد صرح بصياغة عقدية حاسمة بأن: "الدين هو الإسلام والانقياد، وأن كل دينٍ سوى الإسلام غير مقبول عند الله، وأن صاحبه من الخاسرين في الآخرة"، وهذا التقرير موافق لإجماع الأمة، وجاء بأسلوب العالم المتكلم الذي يُبين الحكم ويذكر علته (عدم القبول والخسران). ثم مضى في تحليل تركيب الآية نحوياً كما أسلفنا ، مما يربط الاستنباط العقدي بالنص القرآني نفسه¹.

كذلك في مسائل عقدية أخرى كصفات الله، رأينا كيف تعامل مع "لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم"، بتأويل سني سديد. وفي مسألة صدق الأنبياء وعصمتهم، عند تفسير قوله: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب... ثم يقول للناس كونوا عباداً لي﴾ [آل عمران: 79]، قرر ضمناً تنزيه أي نبي عن أن يدعو إلى عبادة نفسه أو ملكٍ أو غيره، وأشار إلى اختلاف القراءات في "النبیین" رفعاً ونصباً في الآية 80 وكيف تؤثر على معنى الجملة ، مما له دخل في تحقيق العصمة وبيان مقام الأنبياء. ونهج في كل ذلك نهجاً يُثبت العقيدة السنية ويدفع تأويلات أهل الأهواء كغلاة النصارى أو بعض الفرق المنحرفة إن وجدت².

¹ أنظر: النص المحقق ص76.

² أنظر: النص المحقق ص64.

في المسائل الفقهية: لم يكن تركيز شيخ زاده على الفقه كتركيز المفسرين الفقهاء (مثل القرطبي وابن العربي)، لكنه لم يغفل الجوانب الفقهية والأحكام المستنبطة إن وردت في النص أو في تفسير من سبقه. فهو غالبًا يشرح الآيات التي لها صلة بأحكام عملية ببيان حكمها الإجمالي أو توجيه الخطاب فيها، وربما يذكر خلافًا إن كان مشهورًا. فمثلًا:

• الآية 75 تتحدث عن الأمانة والخيانة، وهي مسألة أخلاقية ذات بعد فقهي (وجوب أداء الأمانات وحرمة الخيانة مع كل الناس مسلمين أو غير مسلمين). أشار شيخ زاده إلى اختلاف أحوال أهل الكتاب في الأمانة والخيانة ليكون المسلمون على حذر ، ونَبّه أن دعواهم «ليس علينا في الأميين سبيل» أي زعمهم أنه لا حرج عليهم في خيانة أموال غير اليهود، هو كذب على الله. وبهذا استنبط ضمناً حكماً شرعياً مهماً: عدم جواز خيانة الذمي أو غير المسلم، وردّ تلك المقولة الباطلة. فكان في ثنايا تفسيره تقريراً لمبدأ عدالة الإسلام مع الجميع وأنه لا يُقر الغدر حتى بالكافر المعاهد، مخالفًا لفهم أهل الكتاب المنحرف. هذا موقف فقهي وأخلاقي لا يخفى وإن لم يسرده كمسألة خلافية¹.

• الآية 77 تتضمن وعيدًا شديدًا لمن ينقض عهد الله بالأيمان (أي من يحلفون كذبًا لتحقيق مكاسب دنيوية)، وهذا له صلة بباب الأيمان والنذور في الفقه. فسّر شيخ زاده «اشتراءهم بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا» بأنه بيعهم دينهم بعرض زائل ، ولم يحتج لأكثر من بيان الوعيد الأخرى (لا خلاق لهم، لا يكلمهم الله...) لتقريره في نفوس القراء².

• في الآية 92: ﴿لن تتالوا البرّ حتى تتفقوا مما تحبون﴾، برز اهتمامه باستنباط حكم تربوي وفقهي. فبعد أن بيّن معنى «البرّ» «وأن المراد نوع خاص منه وهو بر الله وثوابه الموقوف على الإنفاق من أحبّ الأموال ، عبّ بفاصلة فقهية سلوكية»: ودلّت الآية على أنه لا بأس بمحبة شيء من الدنيا إذا لم يقدّمه على محبة الدين، ولم يؤثر العاجل على الآجل. «هذا استنباط لطيف يجمع بين الزهد والتوازن؛ إذ يفهم من الآية اشتراط إنفاق ما يُحب المرء، فيُتوهم ذم محبة الأشياء النفيسة، فجاء شيخ زاده ليزيل هذا التوهم: إن حبّ الممتلكات ليس مذمومًا في حد ذاته ما لم يطعّ على حب الآخرة. هذا تقرير لحكم شرعي (إباحة حب المال

¹ أنظر: النص المحقق ص 57.

² أنظر: النص المحقق ص 87.

مع التفريق بينه وبين التعلق المذموم) بأسلوب الوعظ المستتب من النص. وليس هذا ببعيد عن منهج المفسرين الوعاظ كابن كثير وغيره¹.

أما أسلوبه في الترجيح إذا وردت مسألة خلافية، فيتسم بالعلمية وعدم التسرع. فهو غالبًا ينقل الأقوال كما هي عن السلف والعلماء (استقصاءً للأقوال) ثم قد يلمح إلى ما يراه أصح بالدليل، أو يترك الآية تحمل وجوهها المتعددة إذا كانت محتملة ولا تعارض بينها. مثلاً:

• في مسألة معنى القنطار التي سبقت، ساق تعريفات عديدة (عددية ومقدارية ولغوية) من غير تصريح بترجيح قطعي. لكن ربما يفهم أن تحديده بالقصة الواقعية (1200 أوقية) يجعلها أقرب لفهم القنطار المقصود في الآية، خاصة وأنه بدأ بها واستدل لها بسبب النزول. فكأنه يقدم هذا الوجه على أنه الأوجه لورود النص به².

• في مسألة الميثاق على النبيين (الآية 81)، ذكر أربعة أقوال كما رأينا ما يرجح صراحة، لكنه قدم القول الأول بصيغة «قيل إنه على ظاهره»، مما يوحي أنه قول معتبر، ثم أتبعه بما يعززه «وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم به أولى، وهي كلمة ترجيح ضمني للمعنى الظاهر الشامل للأنبياء وأتباعهم معاً. ثم ذكر الأقوال المخالفة بلا إبطال لها، لكون الآية تحتملها لغة. هذا ترجيح هادئ يحترم الأقوال الأخرى ولا يهملها³.

• أحياناً يُصرح بالأرجح إذا كان المقام يتطلب ذلك. مثلاً، ربما فعل ذلك في مواضع خارج عينتنا، لكن روح حاشيته أنها «تساهم في توضيح متن التفسير «أكثر من فتح مناظرات في كل مسألة، فغالب ترجيحاته ضمنية خدمة لفهم عبارة البيضاوي نفسه.

ونلاحظ أيضاً موقفه من الناسخ والمنسوخ وعلوم القرآن في تفسيره، إذ أشارت الدراسة إلى «اهتمامه بأسباب النزول والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ». «ففي نطاق الآيات (75-93) لا يظهر وجود ناسخ ومنسوخ صريح، ولكن مثلاً تقريره أن «كل دين غير الإسلام غير مقبول» قد يحمل ضمناً إشارة إلى نسخ الشرائع السابقة بالإسلام. وربما ألمح إلى كون آية «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً» جاءت بعد بعثة النبي ﷺ نسخاً لحكم من ظل على اليهودية والنصرانية، حيث لم يعد مقبولاً منه ذلك (وهذا مفهوم

¹ أنظر النص المحقق ص38.

² أنظر: النص المحقق ص32.

³ أنظر: النص المحقق ص61.

ضمّني أكثر منه تصريح). وعلى كلّ فإنّ شيخ زاده يبدو ملتزمًا بما قرره علماء علوم القرآن من كون آل عمران مدنية في الجملة، ويستخدم معرفة السياق الزمني في الشرح؛ مثل إشارته إلى أن أهل الكتاب الذين قالوا «ليس علينا في الأميين سبيل» عنوا بذلك العرب عندما أسلموا، فاعتبرهم اليهود مرتدين عن دينهم القديم، فزعموا سقوط حقوقهم عليهم، مما يدل على فهمه لخلفيات الأقوال زمن التشريع¹.

في المحصلة، تعامل شيخ زاده مع الآيات ذات الجوانب الفقهية والعقدية بميزان العالم المحقّق: أثبت العقائد الصحيحة، وأكّد على الأحكام القطعية (وجوب الأمانة، فرضية الإسلام، حرمة الارتداد... إلخ) ، واستنبط فوائد تربوية وأخلاقية من النص، كما رجّح بين الأقوال عند الحاجة على أسس علمية رصينة. أسلوبه يتسم بالإنصاف والتروي؛ فلا تعصّب في ترجيحه ولا إغفال للأقوال المعتبرة. وهذا المنهج أكسب حاشيته قيمة علمية عالية في إيضاح المشكلات التراثية وترجيح الراجح منها.

يمكننا القول إن شيخ زاده اعتمد على مكتبة تفسيرية ثرية تضم خلاصة ما سبق من تفاسير كلاسيكية ولغويات وعلوم شرعية. وقد عمل على توثيق أقوال المفسرين والنحاة واللغويين من مصادرها الأصلية قدر الإمكان ، فنجد في تحقيقه يُعزو كل قول إلى مرجعه. ولعل هذا ما جعل حاشيته موسوعة تفسيرية يحتاجها الباحثون ؛ لأنها لا تنتقل رأيًا إلا ومعه أصله، ولا تعرض مسألة إلا مشفوعة بأقوال من بحثها قبله. وهذا المنهج في الاستقصاء والتوثيق أكسب حاشية شيخ زاده موثوقية عالية وأهمية بالغة بين حواشي البيضاوي حتى قيل إنها «تحتاجها مكتبة التفسير محقّقة تحقيقًا علميًا دقيقًا».

بعد هذا العرض التحليلي لمنهج محيي الدين شيخ زاده في تفسيره من خلال حاشيته على البيضاوي في آيات آل عمران (75-93)، تتأكد لنا مكانة هذه الحاشية وأهميتها. فقد رأينا شيخ زاده مفسرًا شاملًا: يُعَمِل أدوات اللغة والنحو والبلاغة لفهم النص القرآني بأدق معانيه، ويستدعي المأثور من أقوال السلف لتأييد التفسير وتبيين سبب النزول والسياق، كما يستخدم العقل والنظر الكلامي لصون دلالات الآيات من أي لبس أو تعارض مع أصول الدين، ولا يغفل عن الأحكام الشرعية والأخلاقيات المستفادة عارضًا لها بإيجاز وإيضاح. وأسلوبه في الترجيح متزن يعكس روح التحقيق العلمي دون تعصّب. لقد استعان شيخ زاده بمن سبقه من أئمة التفسير واللغة، فكان حريصًا على الأمانة العلمية

¹ أنظر النص المحقق ص76.

في النقل والعزو، فجاءت حاشيته كخارطة علوم متكاملة: من قرآن وحديث ولغة وفقه وعقيدة. ومما يزيد من قيمتها أنها كُتبت بلغة علماء أصيلة تجمع بين جزالة التعبير ووضوح المقصود، مما يجعلها مفهومة لطلبة العلم الراسخين إذا توفرت لهم أدوات اللغة وعلومها

ولا عجب بعد ذلك أن تبقى حاشية شيخ زاده مرجعاً مهماً في دراسات التفسير، يحتاج إليها المحققون لاستكمال الصورة عن تفسير البيضاوي وفهم استدركااته وتعليقاته. وقد خلصت الدراسة المحققة إلى توصية بضرورة استكمال تحقيق هذه الحاشية كاملة ونشرها خدمةً للتراث التفسيري. فإن ما رأيناه في نموذج آيات آل عمران دليلٌ على غنى هذا العمل ومدى استفادة مؤلفه من التراث قبله وإفادته لمن بعده. وبالنظر إلى منهجه الذي جمع فيه بين النقل الصحيح والعقل الصريح، يمكن اعتبار شيخ زاده نموذجاً للمفسر الموسوعي في عصر ما بعد البيضاوي، الذي نجح في توضيح متن التفسير وإثرائه . فحريٌّ بهذا الجهد العلمي أن يُقدَّر ويُستفاد منه في فهم كتاب الله تعالى وفق أصول التفسير الراسخة ومنهج أهل السنة والجماعة.

المبحث الثالث: منهجية التحقيق:

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: منهج التحقيق:

قمت باختيار نسخة تركيا الموجودة في مكتبة فيض الله أفندي، حيث أنها مكتوبة بخط المؤلف نفسه، قمت بضبط النص وملاحظة الفروق بينها وبين النسخ الثلاث الأخرى، وتمثل منهجي في التحقيق على النحو الآتي:

1. اختيار نسخة مكتبة فيض الله أفندي بتركيا، وقد رمزت لها بالرمز "أ"، النسخة الأصل؛ وذلك لأنها بخط المؤلف، وأكثر النسخ ضبطا ودقة.
2. اعتماد ثلاث نسخ أخرى من مكاتب مختلفة، من مكتبة الغازي خسرو بك ورمزها "غ"، ومكتبة جامعة متشغن ورمزها "م"، ومكتبة فيض الله أفندي ورمزها "ف"، وقد قرئت على الشيخ زاده.
3. نسخت القسم المحقق على الرسم والإملاء المتعارف عليه الآن.
4. نسخ النص المخطوط، ومقابلته على الأصول، وإثبات الفروق ذات القيمة وغيرها، ووضع علامات الترقيم عليه، وتقسيم فقراته بدقة. وثقت القراءات القرآنية من مصادرها المعتمدة، مع توجيه بعض القراءات.
5. توثيق نقول الشيخ زاده من أصولها.
6. ترتيب عبارات "البيضاوي" وربطها بالشرح بطريقة سلسلة متصلة مع شرح شيخ زاده، وذلك في سياق تكون فيه العبارة وشرحها في صفحة واحدة غالبا. وقد قسمت الصفحة الواحدة إلى أربعة أقسام: القسم الأول: توضع فيه الآيات الكريمة بخط المصحف الشريف، والقسم الثاني يوضع فيه نص كلام البيضاوي، والقسم الثالث يوضع فيه نص حاشية شيخ زاده، والقسم الرابع هامش التوثيق.
7. مقابلة النص المحقق بعد تدقيقه على أصله، وتصحيحه وتدقيقه مرات عدة.
9. تحرير نص البيضاوي: لفظا وشكلا وتقيرا؛ بالاعتماد على نسخة حديثة محققة، الطبعة الأولى لدار الرشيد في بيروت 1421هـ/2000م.

10. وثقت أقوال المفسرين والنحويين واللغويين من مصادرها الأصلية، أو من المصادر التي ذكرت فيها، مبتدئا بمصنفات المؤلفين أنفسهم ما أمكن.

11. الحرص على إخراج الحاشية إخراجا فنيا متقنا، ومراقبته بعناية للتأكد من ارتباط نص "البيضاوي" بنص المشروح منه في "حاشية شيخ زاده"، وخلوه من أي عيوب في الإخراج، أو الإسقاط، أو الفوت، أو الانتقال في فقراته.

12. أشرت في الهامش إلى نهاية وجه كل ورقة من أوراق النسخ المخطوطة.

13. وضعت الآيات القرآنية الكريمة الواردة في النص بين قوسين مزهرين هكذا، ثم عزوتها إلى سورها، مع ذكر رقم الآية وذلك في المتن.

14. وضعت الأحاديث الواردة في النص بين قوسين هلالين هكذا ()، ثم خرّجت هذه الأحاديث في الهامش، واتبعت الطريقة الآتية في التخرّيج:

- إن كان الحديث في الصحيحين، أو في أحدهما، اكتفيت بذلك.
 - وإن كان خارجا عن الصحيحين، أو أحدهما، خرّجته من السنن الأربعة وغيرها من كتب السنة، وأذكر الحكم على الحديث من أقوال المحدثين.
 - أذكر الجزء والصفحة من الكتاب الذي ورد فيه الحديث غالبا.
15. ترجمت لبعض الأعلام الذين ورد ذكرهم ترجمة موجزة لا تتجاوز غالبا ثلاثة أسطر، مع ذكر مصادر الترجمة وذلك على الهامش.

16. شرحت الكلمات الغامضة.

17. وضعت صوراً لأوراق مختارة من النسخ المخطوطة.

18. عملت للحاشية فهرس علمية كاشفة، تمكن القارئ من الوصول إلى بغيته منهما بيسر، وتجلو ما في طياته من مكنونات. وهذه الفهارس هي:

- فهرس الآيات الكريمة
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأشعار
- فهرس الأعلام
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

المطلب الثاني: وصف النسخ المعتمدة:

النسخة الاولى: النسخة الأصل المرموز لها بـ(أ) وتتميز بالآتي:

1. كتبت بخط المؤلف بدليل قوله في نهاية الجزء الثالث " وقع الفراغ منها في الثالث من شهر شوال من شهور سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة، على يد مؤلفه الفقير إلى ربه الغني القدير محمد ابن الشيخ مصلح الدين"، وفي نهاية المجلد الرابع قال: "وقع الفراغ من كتابة هذه القطعة المباركة في أواسط الشهر المبارك شهر ربيع الأول من شهور سنة ست وأربعين وتسعمائة"، وفي نهاية المجلد الخامس: "وقع الفراغ من تسوية هذه القطعة المباركة في أواسط الشهر المبارك شهر ربيع الاول من شهور سنة ست وأربعين وتسعمائة"، وفي نهاية السادس كذلك قال: "تمت في أوائل الشهر المبارك من ذي الحجة من شهور سنة ست وأربعين وتسعمائة على يد أضعف عباد الله وأحوجهم إلى عفوهِ وغفرانه المذكور شيخ زاده".
2. عدد أجزاءها ثمانية، حصلت على سبعة منها، عدد أوراق المجلد الأول (403)، والثاني (408)، والثالث (417)، والرابع (312)، والخامس (363)، والسادس (245)، والسابع (231).
3. يتراوح عدد السطور في الصفحة الواحدة ما بين 20-24 سطر، وعدد الكلمات في السطر الواحد ما بين 11-17 كلمة.
4. عدد ورقات المخطوط المجلد الثالث (417)، والقسم المحقق (19) ورقة.
5. صدر قول المؤلف بـ (قوله)، وقد جاءت في أوائل حاشيته باللون الأسود، وعند المجلد الرابع بدأ بكتابتها باللون الأحمر، مع وضع خط فوقها بالأحمر كذلك.
6. جيدة من حيث أنه لا سقط فيها، ولا رطوبة، ولا تمزق.
7. مصدرها مكتبة فيض الله أفندي في اسطنبول بتركيا.
8. تحتوي النسخة على إضافات من قبل المؤلف، والتي كان يشير إلى موضعها بوضع علامة (") أحبانا، وأحيانا أخرى لا يشير.
9. لا يوجد فيها تصحيف.

النسخة الثانية: المرموز لها بالرمز (ف):

1. كتبت بخط نسخ واضح.
2. قرئت على شيخ زاده نفسه، وهذا تم اثباته في صفحات المخطوط.
3. مصدرها مكتبة فيض الله أفندي في اسطنبول بتركيا.
4. يتراوح عدد السطور من (24-27) سطر في الصفحة الواحدة.
5. تتراوح عدد الكلمات في السطر الواحد من (13-24) كلمة.
6. يكتب كلمة "قوله" في الصفحات الأولى باللون الأحمر، وفي باقي المخطوط يترك فراغا مكان "قوله"، الدالة على قول المصنف.
7. يكتب رؤوس الآيات القرآنية باللون الأحمر.
8. مليئة بالشرح في حواشيها.
9. يكتب بالهمز لا بالتسهيل، وهذا ما تميزت به عم باقي النسخ.
10. عدد الورقات (499)، تم تحقيق (12) ورقة.
11. في بعض صفحاتها رطوبة أدت إلى ذهاب بعض الكلام.
12. في بعض صفحاتها تكرار لفقرات من الشرح سبق ذكرها وكررت.
13. يوجد فيها تصحيف، جاء في صفحات قليلة.
14. انتهى استتساخ هذا الكتاب في وقت صلاة العصر لأربع مضت من الشهر المبارك رجب، أربع وثلاثين وتسع مائة، على يد المحتاج إلى عفو ربه الهادي صادق بن حمزة بن خليل عفا الله عنهم.

النسخة الثالثة: المرموز لها بالرمز " م ":

1. نسخت بخط فارسي وهو واحد من أهم خطوط اليد في كتابة النص الفارسي.
2. نسخت عن طريق ما لا يقل أربع أيدي من الاتراك.
3. ترقيم الصفحات بقلم الرصاص، والأرقام الغربية تم وضعها عن طريق الرقمنة، حتى الأوراق الفارغة بأول الكتاب وآخره تم ترقيمها.
4. عدد أوراقها 267 ورقة، وأوراق القسم المحقق (11) ورقة.
5. مقاسات الورقة الواحدة: 184*282 (210*105) ملم.

6. حالتها على الرغم من الحالة السيئة لبعض الأجزاء نتيجة حمله ورفعها مما أدى إلى فقدان بعض أجزاء القماش أو الورق.
7. غلاف الكتاب: ألواح مغطاة بأوراق صفراء باهتة وأقمشة خضراء، وزرقاء مدعومة بالورق، بالإضافة إلى جلد لونه أخضر غامق كلون الزيتون.
8. جمعت معظم أجزائها من قسم يهودا في مكتبة برنستون.
9. سطور الصفحة الواحدة (29) سطر.
10. عدد كلمات السطر الواحد ما بين (15-22) كلمة.
11. فيها بعض التصحيف.
12. مكتوبة على صفحة واحدة طولية الشكل.
13. مصدرها موقع جامعة متشغن على الشبكة العنكبوتية.
14. لا يوجد تعليقات على الحاشية.
15. يكتب كلمة "قوله" باللون الأحمر.

النسخة الرابعة: المرموز لها بالرمز " ر ":

1. كتبت بخط نسخ واضح متوسط الحجم.
2. عدد سطور الصفحة الواحدة (17) سطر.
3. عدد الكلمات في السطر الواحد ما بين (13-18) كلمة.
4. عدد ورقات المخطوط (1007) ورقة في حالة جيدة لا رطوبة فيها ولا تمزق، عدد ورقات المخطوط المحقق (29) ورقة.
5. عليها تعليقات قليلة.
6. فيها سقط كثير قد يتجاوز الصفحة الكاملة.
7. مصدرها مكتبة الغازي خسرو بيك موجود في سرايفو، عاصمة البوسنة.
8. يكتب كلمة "قوله" باللون الأحمر.
9. تمت بتاريخ 1226هـ، الموافق 1811م، أما الجزء الرابع فقد انتهى الناسخ منه في شهر شعبان سنة أربع وعشرون ومائتين وألف للهجرة.
10. ناسخها هو السيد محمد شاكر، كما أشار في ختام الجزء الرابع من المخطوط.

المطلب الثالث: نماذج عنها:

نماذج من نسخة فيض الله أفندي المرموزة بـ "أ"

سورة العنكبوت

قوله وكان حتما ان يوقف عليها ان ينلفظ بها ساكنة تكون وقت
 لان اسماء الحروف التي هي فواعل السور اسماء موحدة لا نداء ما
 يوجب بناؤها الا انها لما تنكب مع العامل لم يحدث فيها المقادير المنفصلة
 لان نظيرها الياءات الاخرى في وجوب تكون اعجازها ساكنة
 تكون في وقت فليس وجه الاستفاضة الجمالية لانه لما وقف على ما
 ما قبلها ابتدئ الكلام بها وهمزة الوصل لا تنقطع في ابتداء الكلام
 وانما تنقطع في حال الرفع والوصل الا انه لما تنقطع النسب عند
 تلفظ كل واحد من هذه الاسماء انفصل الكلام بما بعد الصورة ونظما
 وان كان مشتقاً عنه حقيقة ومع فاستطقت فطانت الهمزة كانهما
 واقعة في الوصل فاستطقت تخفيفاً والفتحة حركتها الى الميم التي قبلها
 لتدل على الهمزة المحذوفة لانها لما استقطقت للتخفيف لا للرفع
 ثابتة حكماً فتقلت فتحركت الى الميم لتدل على الهمزة على كون الهمزة
 في حكم الالف فانها لو حرفت للرفع استقطقت حركتها لان سقوط محل
 الحركة يستلزم سقوط ما حل فيه فلا يتصور نقل حركة ما سقط للرفع
 فكذا كانت في جمهور النحاة لم الله بفتح الميم ووجه همزة الجلاله خلافاً
 لما عليه رواية البركعي فانه زوى عنه انه قد يكون اليم على الوقت
 وفتح همزة الجلاله لوقوعها في ابتداء الكلام وهو ظاهر وهذه الرواية
 وان كانت منسوبة الى عامر الا انها قراءة شاذة استدرت الى عامر برواية
 ويحتمل عن البركعي من عامر وضعف الرواية وروايته ومن ذهب الى ان اسماء
 المذكورة على غلط التعرُّاد منسوبة انما ذهبوا اليه بناء على انها ليست هي الياء
 الاخرى بل هي الالف لكونها صالحة لان تخشعها في وقت ما تنقسم المعاني
 الحاصلة بتكثيرها مع العامل عند



رواية البركعي
 رواه في كتابه
 في تفسيره

هذا التام لا يصلح سكونها وقت بل يحل سكونها وهو كسكون الالف
 فكثير الهمزة في كل اللغات كونه متدة ايها كما ان الالف لما استقطقت للتخفيف
 حركتها على الميم قبلها لتدل على الهمزة المحذوفة الثابتة كما يكون في وقت حكم الالف
 ايها كما يمكن نقلها الى ما قبلها ولو استقطقت الهمزة للرفع كما يكون في وقت حكم الالف
 يمكن نقلها وسكونها على هذا من الالف وان كان سكونها عند هذا القائل
 الالف لا يتوارى ان هذه الاسماء منسوبة حقيقة بل يتوارى ان منسوبة بناء على ان
 منها الياءات الاخرى بها بالفعل لعدم ما ينقصها من المقادير الاخرى بالتركيب
 فيكون سكونها حكم سكون الالف فلا فرق بين الترتيب في الحقيقة في التام من قوله
 انه سكون وقت لا يتوارى ان ذلك لسكون حصر يورث الانتباه من الكلام الاخرى
 الى التكون كما في الالف على العبارات الواقعة في الترتيب في الاخرى بدون
 التركيب بل هو سكون اصل غير متوارى بالوجه الاخرى وهي سكون وقت
 تكون الكلمة بغيره عما بعد حقيقة ومع ذلك ما بعد انظر متداويه
 في نفس الامر هذه الالف حركتها الهمزة على قوله وانما فتح الميم فلهذا
 استقطقت للتخفيف لا للرفع عليه كون الهمزة في حكم الالف فانها لو
 استقطقت للرفع سقطت بالكلية من اول الامر فلا تزلت حركتها بسبب
 سقوط محل الحركة فكيف يتصور نقلها الى الميم بخلاف ما اذا وقف
 على الميم فان الهمزة تكون في حكم الالف لتستقر نقل فتحها كما في
 قولهم واجرائنا فانها اذا ذكرنا على غلط التعرُّاد سكون الالف
 سكون وقت فتكون الهمزة مبتدأ بها لم تخفف الهمزة وتنقل حركتها
 الى الالف فصار واجرائنا بكسر الالف وتخفيف الهمزة قوله الا ان شاء
 الكندي رد ما ذهب اليه سيبويه وابو علي وغيرهما من ان فتح الميم
 وان كان ان يوقف عليها الا انها فتحة مبرأ عن الفتحة الكينية على حقيقة
 وهما الياء والميم ووجه الرد ان الفتحة الكينية مفتحة في الوقت والالف
 لوجوب فتح الميم في وقت الكلام

الورقة الأخيرة من نسخة "أ"

٢٤٥
٢٤٦

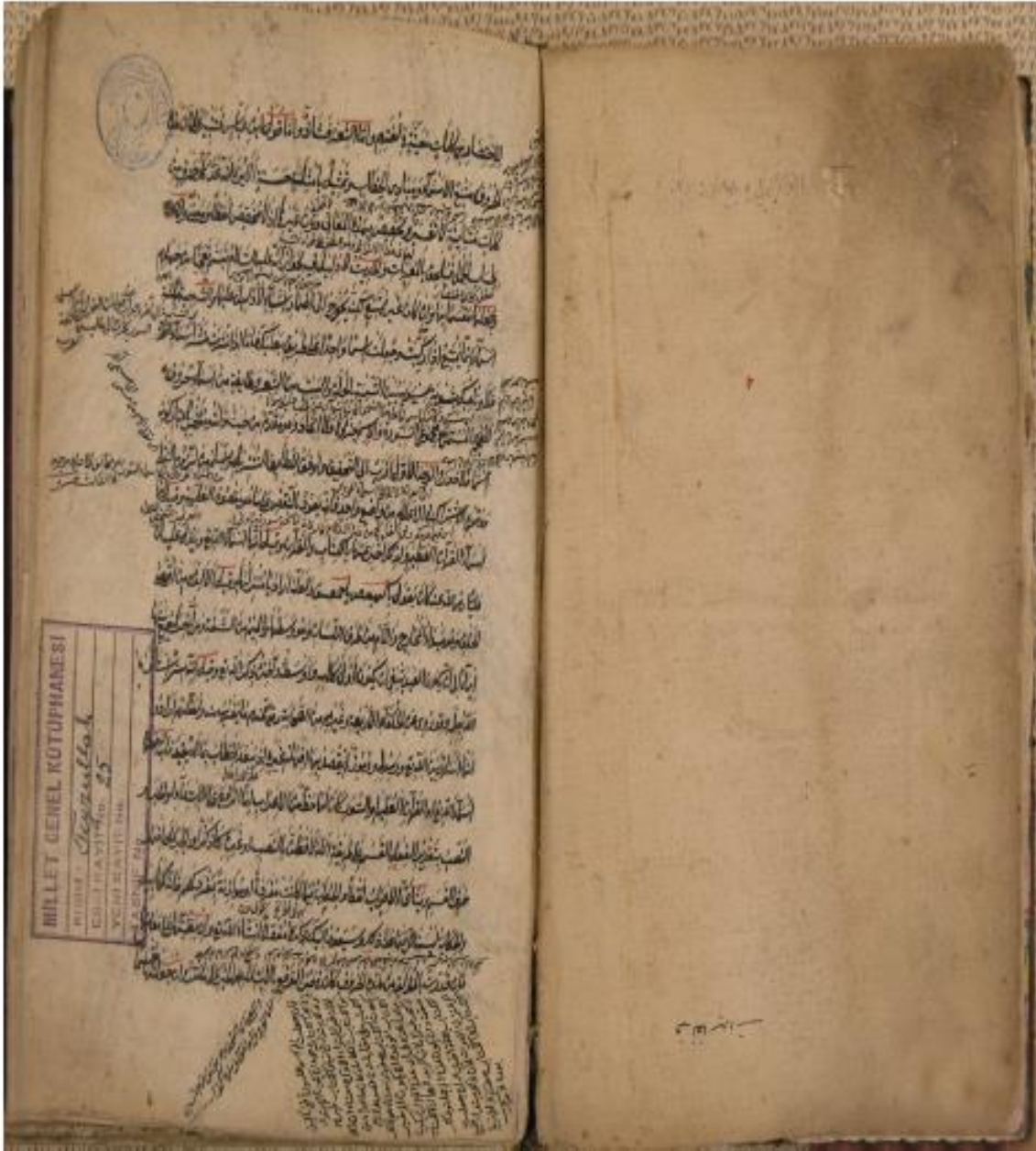
قال فما بهم فبين قول من الملك يوم الله الواحد القهار
 فالملك الحقيقي هو الواحد القهار الذي هو قاهر كل شيء
 عظيم عليه الناس يسألون حال بقايم بعد الفناء لا شيء
 الا وهو العبود المطلق وذلك في الزمان مع جميع الصفات
 باعتبار النهاية استعماله بجانب المطلق فليس فيه ظهور
 كونه مطلقا ثم قد لما الوجود لتمام العبودية فكان عبودا دائما
 فتم استواءه به من لئلا الوساوس لان الوساوس تقتضي
 مجازا وجودها كما قال الذي يوسوس في صدور الناس والارواح
 ونحال الفناء فلا صدور والوساوس والوسوس بل ان ظهر فقال
 بوجوده الالهي قبل افضو به من كل مفاصل عبودا بوجوده العابر
 ظهر الشيطان بظهور العابر كما كان اولا موجودا بوجوده والارواح
 اسم الوساوس تسمى به الوساوس والوسوس تسمى بها فان فكس
 وسواس وانما استعما منه بالله دون بعض اسمائه كان
 السورة الاولى لان الشيطان هو الذي يقابل الرحمن ويستولى
 على العبودية العبدية الالهية ويظهر في صور جميع الاسماء
 بغير تعلق بالاسماء والرحمن فكيف استعما منه بالهادي
 والعليم والقدير وغير ذلك فلهذا لا تعوذ من الاحتجاب والاضلال
 تعوذ برب الفلق ومنها تعوذ برب الناس ومن مزاياهم معنى
 قول عليه السلام من اراد ان يعوذ من الشيطان لا يتمثل في

الناس

التناسون ان الربيع لا يزال يوسوس الالواح الضلالة ولها سنة الفناء
 وذكر ان حسن الشيطان وولي وفخا غفل ويكمن اليه في قوله
 من الجنة والناس بيان للذنب يوسوس فان الوساوس من
 الشياطين جنات حتى تغير محسوس الاوهم والاشق
 محسوسا للفضائل من افراد الانسان ايا في صورة الهادي
 كغيره انكم كنتم تاتوننا عن الهادين واما في صورة متبرع من
 صور الاسماء فلا يبع ايضا الاستعانة لغة الاله والهدى العام
 عن النبي صلى الله عليه وسلم من فدا العوذ من فلما نادى الكلب
 التي انزلها الله

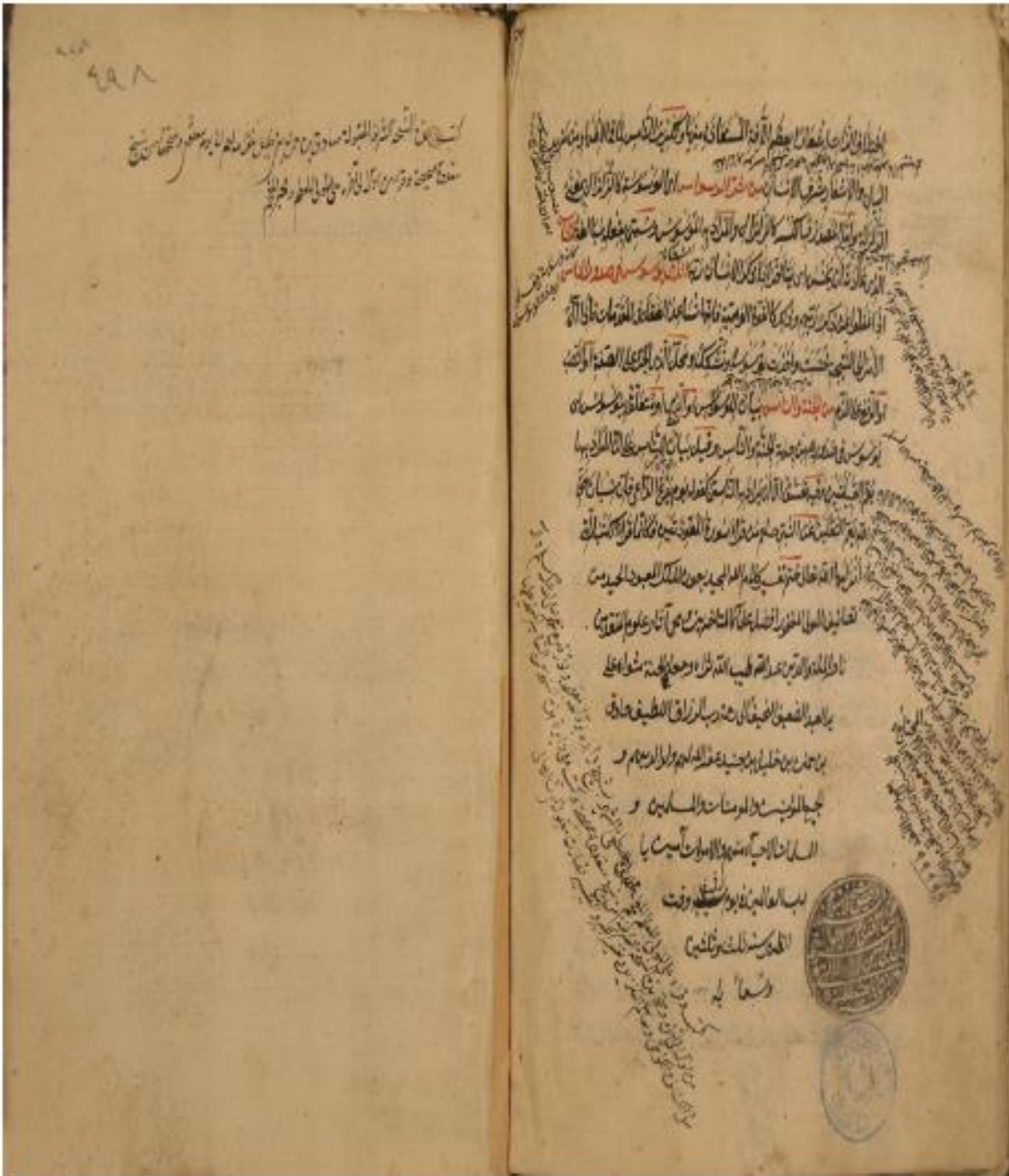
٥٤٣

نماذج من نسخة مكتبة فيض الله أفندي المرموز لها بالرمز "ف"



الورقة الأولى من نسخة "ف"

الورقة الأخيرة من المخطوط "ف"



نماذج من نسخة مكتبة متشغن المرموزة بـ "م"

الصفحة الأولى من النسخة "م"

الاعتراف

5

والكافر من أهل الحرب لعملة دعا انما جزاء الذين يجادون الله ورسوله والثالث ان قوله
وعن له مسلمون فضله المصير والتقدير به اسلمنا لا لعرض آخرين سمعة ورياء وطلب
مال وهذا تبيين على ان حالهم بالصدق من ذلك فانهم لا يفعلون ولا يقولون الا للسمعة
والرياء وطلب الاموال وما قال في آخر الآية ونحن له مسلمون يتبع ان الذبح هو الاسلام
وان كل دين سوى الاسلام غير مقبول عند الله وان صاحبه من الناس من في الآخرة
فقال ومن يتبع غير الاسلام ديناً فقله ديناً ممنوعاً ويتبع وغير الاسلام حال مندانة
في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالاً ويجوز ان يكون تمييز الذبح بها ما لم يترن كما يترن
مثل وشبهه واخراتها وان يكون دينا ممنوعاً على هذين الوجهين فتغير الاسلام المقبول به
ليبتغى قرئ ومن يتبع غير الاسلام ديناً باذنه احد المتخالفين في الآخر كما ان قراءة
العمامة الظهارة بناء على ان المتطهر لم يلبسها في الحقيقة لوجود الناصب بينهما وهو البناء
المعذور في الجزم **و** واستدل به على ان الايمان هو الاسلام مع ان ظاهر قوله تعالى
الذين آمنوا هم الصديقون الخ لا يفرقون بين الايمان والاسلام هو الاعمال ووجه الاستدلال
ان الله لا يشك ان الايمان مقبول عند الله فلو كان غير الاسلام المرزوم ان لا يقبل بحكم هذه
الآية ثبتت انهما متحدان وتقرر الجواب اننا لا نشك ان كون الايمان غير الاسلام
يستلزم عدم قبوله وانما يستلزمه ان لو كان الايمان ديناً ولا نشك ذلك فان
منطوق الآية ان لا يقبل دين غير الاسلام ولا يلزم منه عدم قبول الايمان
على تقدير كونه غير الاسلام الا اذا ثبت كونه ديناً ولم يثبت لانه الدين هو الطاعة
والايمان ليس بطاعة بل هو سبب الطاعة ثم انه تعالى لما عظم امر الاسلام
والايمان بقوله ومن يتبع غير الاسلام ديناً فقله يقبل منه وهو في الآخرة
من الناس من لا يدين الا بالله الذي لا اله الا هو العظيم بان يدين وعبد من ترك الاسلام فقال كيف
يهدى الله الآية قاله استبعاداً كما ان يهدى قوماً منهم معاندهم للحق كما يهدى
فيه غير خاضعين له بان يخلق فيهم الاهتداء فيوقفهم لانتساب الاهتداء
وانما يخلق الاهتداء ويوقف على كسب ذلك ويقدرهم عليه انكافوا احداً ضعيفين
شواضعهم للحق واغيبوا فيه فان الهداية من الله تعالى قد يكون يخلق الاهتداء

463

الفصل الثاني

النص المحقق

﴿يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (74)

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ رَدُّ وَإِبْطَالُ لَمَّا زَعَمُوهُ بِالْحُجَّةِ الْوَاضِحَةِ.

قوله: يختص برحمته من يشاء: قيل: بنبوته وقيل: بدينه وقيل: بالقرآن والإسلام.

"وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ"
(75)

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ اسْتَوَدَعَهُ قُرَشِيٌّ أَلْفًا وَمِائَتِي أَوْقِيَّةٍ ذَهَبًا فَأَدَاهُ إِلَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ كَفَنَحَاصِ بْنِ عَازُورَاءَ اسْتَوَدَعَهُ قُرَشِيٌّ آخَرَ دِينَارًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ﴾ كَلِمَةٌ مِنْ فِيهِ مَبْتَدَأٌ، وَمِنْ أَهْلِ خَبْرِهِ قَدَمٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ إِمَّا مُوصُولَةٌ، وَالْجُمْلَةُ الشَّرْطِيَّةُ بَعْدَهُ صَلْتَةٌ، لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ، وَإِمَّا نَكْرَةٌ مُوصُوفَةٌ بِمَا بَعْدَهُ، فَيَكُونُ مَا بَعْدَهُ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ. أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنِ اخْتِلَافِ أَحْوَالِ

أهل الكتاب في الأمانة والخيانة؛ ليكون المؤمنون على بصيرة في ترك الركون إليهم¹ لاستحلالهم أموال المؤمنين؛ والباء في مثل قولهم: أمنت به كذا، للإصاق²؛ لأن من أتمن على شيء، صار ذلك الشيء في معنى الملتصق به؛ لقربه منه، واتصاله بحفظه، والمشهور تعديته بعلى، بأن يقال أمنت به على كذا؛ لأن من أتمن على

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قائماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (75)

فجده. وقيل المأمونون على الكثير النصارى إذ الغالب فيهم الأمانة، والخائنون في القليل اليهود إذ الغالب عليهم الخيانة. وقرأ حمزة وأبو بكر وأبو عمرو يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَلَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ بِإِسْكَانِ الْهَاءِ وَقَالُونَ بِاخْتِلاَسِ كَسْرَةِ الْهَاءِ وَكَذَا رَوَى عَنْ حَفْصِ وَالْباقُونَ بِإِشْبَاعِ الْكَسْرَةِ.

شيء، يكون كالمستعلي على ذلك الشيء، والمستولي عليه³؛ فلذلك حَسَنَ التعبير عن⁴ التعلق الحاصل بين المؤمن والمؤمن عليه، بكل واحدة من العبارتين.

¹ انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، 3/ 317، ط الأولى، 1420 هـ - 2000 م، مؤسسة الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر

² أنظر: ابن هشام، عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 137، ط دار الفكر - دمشق السادسة، 1985، دار الفكر - دمشق، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله. أبو الفتح، عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، 1/ 123، ط الأولى 1421 هـ - 2000 م، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.

³ الرمانى، علي بن عيسى، معاني الحروف، 108. ابن هشام، مغني اللبيب، 190.

⁴ (على) في نسخة ف.

اختلف في (تفسير {القنطار})¹ فقيل: إنه ألف ومائتا أوقية، واستدل عليه بأن الآية نزلت في)² عبد الله بن سلام رضي الله عنه حيث استودعه رجلٌ من قريش، ألفاً ومئتي أوقية من الذهب، فرده إلى صاحبه، ولم يخن فيه³، فدلّ هذا على أن القنطار، هو ذلك المقدار.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قائماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (75)

إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قائماً إلا مدة دوامك قائماً على رأسه مبالغاً في مطالبته بالتقاضي والترافع وإقامة البينة. ذلك إشارة إلى ترك الأداء المدلول عليه بقوله لا يؤدّه. بأنهم قالوا بسبب قولهم. لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ أي ليس علينا في شأن من ليسوا من أهل الكتاب، ولم يكونوا على ديننا، عتاب وذم.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه⁴ قال: "القنطار ملء جلد ثورٍ من المال"، وقيل: القنطار ألف ألف دينار. أو: ألف ألف درهم، والأوقية في الحديث أربعون درهماً، وكذلك كان فيما مضى، أما اليوم، فالذي يتعارفه الناس، ويتفق عليه الأطباء، أن الأوقية وزن عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم.

قوله: "إِلَّا مَدَّةَ دوامك قائماً على رأسه"، إشارة إلى أنه استثناء مفرغ من الظرف العام، والتقدير: لا يؤدّه إليك في جميع الممدد والأزمنة، إلا في مدة دوامك قائماً عليه، وملازمتك إياه بالمطالبة⁽⁵⁾، (والتغاضي

¹ وردت في تفسير وتحديد القنطار عدة أقوال: قال الرَّجَاج: أنه الكثير من المال. وقيل: هُوَ أَلْفٌ وَمِائَتَا أُوقِيَّةٍ. وقيل: مِائَةٌ وَعِشْرُونَ رَطْلًا. وقيل: مَلءُ مَسْكِ ثَوْرٍ ذَهَبًا، وقد حرر قيمته صاحب كتاب المكايل والموازين الشرعية وخلص إلى أن القنطار عند الحنفية يساوي 149.76 كيلوجرام، وعند الجمهور يساوي 142.8 كيلوجرام. أنظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ص431. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، 256، ط الخامسة، 1420 هـ / 1999م، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، تحقيق: يوسف الشيخ محمد.

سقطت من ف 2

³ أصل الرواية: قال ابن عباس: أودع رجل ألفاً ومائتي أوقية من ذهب عبد الله بن سلام، فأداها إليه، فمدحه الله بهذه الآية، وأودع رجل فنحاص بن عازوراء ديناراً، فخانته. البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 2/ 56، ط الأولى، 1420 هـ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي. الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، 1/ 295، ط الأولى - 1422 هـ، دار الكتاب العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

⁴ (فدلّ هذا على أن القنطار هو ذلك المقدار، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه) ساقطة من ف و م.

⁵ نهاية ق 54/ ص2.

والخصومة ، والمبالغة فيها بما يمكن من طرق الإلحاح في المطالبة ، عبر عنها بالقيام لأن من اهتم في طلب الشيء يقوم في طلبه ومن أعرض عنه يقعد¹.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قائمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿75﴾﴾

ويَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ بادعائهم ذلك وَهُمْ يَعْلَمُونَ أنهم كاذبون، وذلك لأنهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا: لم يجعل لهم في التوراة حرمة. وقيل عامل اليهود رجالاً من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حكم حيث تركتم دينكم وزعموا أنه كذلك في كتابهم.

وعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال عند نزولها «كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر»

"أي ليس علينا سبيلٌ لأحدٍ لأن يعاتبنا في شأن الأميين²، ويزمنا بسببهم، نَفَعْلُ بهم وبأموالهم ما نشاء، إذ لا حرمة لهم تُلزمهم"³، والتَّقاضي والخصومة والمبالغة فيها -بما يمكن من طرق الإلحاح في المطالبة- عبر عنها بالقيام؛ لأن من اهتم في طلب الشيء، يقوم في طلبه، ومن أعرض عنه يقعد، والظاهر أن اسم ليس في قوله: {لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ}، ضمير شأنٍ مستكن فيه، وأنَّ قوله: {سبيلٌ}، مبتدأ، وعلينا خبر متعلق بمحذوف هو مستقر، وقوله: {في الأميين}، متعلق بذلك المحذوف، ومعنى ذلك: أي عدم تأديتهم ما أوتمنوا عليه من الأمانة إلى صاحبها، وخيانتهم فيها بسبب أنهم يقولون: ليس الشأن أن يستقر سبيلٌ علينا في الأميين، باستردادهم ما أصابنا⁴ منهم، وتضمينهم ذلك إيانا، والأُمِّيِّ

¹ موجودة في م+ف

² قالوا: هم العرب كلهم وهو قول السدي وقتادة، وقال ابن عباس (رضي الله عنهما): هم النبي (صلى الله عليه وسلم) والمسلمون. أنظر: جامع البيان، الطبري، 70/8.

³ "أي ليس علينا سبيلٌ لأحدٍ لأن يعاتبنا في شأن الأميين، ويزمنا بسببهم، نَفَعْلُ بهم وبأموالهم ما نشاء، إذ لا حرمة لهم تُلزمهم"، ساقطة من نسخة م وف.

⁴ (أصبنا) في م ف وهو الصحيح.

"وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قائماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75)"

منسوب إلى الأم؛ وأم الشيء أصله، يسمى من لا يكتب ولا يقرأ أمياً¹؛ لبقائه على أصل حاله الذي وُلِدَ عليه من أمه، حيث لم يتعلم كتابة ولا قراءة؛ لذلك عبروا عن العرب بالأميين، فإن اليهود² أهل كتاب، والعرب ليسوا كذلك، زعم اليهود أن العرب ليس لهم سبيل إلى استرداد ما أصاب اليهود منهم، لكونهم مشركين، والمشرك³ لا حرمة لنفسه ولا لماله، فإنهم يبالغون في التعصب لدينهم، فيقولون⁴:
يحل لنا قتل من يخالف ديننا، وأخذ ماله بأيّ طريق كان.

رُوي أنه عامل جماعة من قريش مع اليهود في الجاهلية، وبقي لهم على اليهود مال عظيم، فلما أسلم القرشيون تقاضوا من اليهود ما بقي عليهم من أموالهم، فقال اليهود: "قد سقط حَقُّكم حيث تركتم دينكم"⁵، قال الإمام⁶: "ومن المحتمل أنه كان من مذهب اليهود، أن من انتقل من دين باطل إلى دين آخر باطل، كان في حكم المرتد"، واليهود وإن اعتقدوا أن

¹ الرازي، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ص28، 1399هـ - 1979م، دار الفكر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج12ص34، ط الثالثة - 1414 هـ، دار صادر - بيروت.

² (أنفسهم) في نسخة م وف.

³ (والمشرك) ساقطة من م.

⁴ في ف فانهم يحل

⁵ وردت الرواية في الطبري، ابن جرير، جامع البيان، 6/523، ط الأولى، 1420 هـ - 2000 م، مؤسسة الرسالة، تحقيق: مؤسسة الرسالة.

⁶ المقصود هنا بالإمام هو الإمام الفخر الرازي صاحب كتاب مفاتيح الغيب.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قائماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (75)

العرب كفار، إلا أنهم لما اعتقدوا في الإسلام¹ أنه² كفر -أيضاً- حكموا على العرب الذين أسلموا من الشرك بالردة³، فقالوا: سقط عنا⁴ حَقِّكم، حيث تركتم دينكم.

قوله⁵: "بادعائهم ذلك"، أي⁶: بادعائهم جواز الخيانة مع من يخالف الدين، وأن ذلك⁷ منكور في التوراة، حيث ذكر فيه: أن لا حرمة لمن خالف الدين، فإنهم كاذبون في ذلك⁸، ويعلمون أنهم كاذبون فيه.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (76)

بلى إثبات لما نفوه أي بلى عليهم فيهم سبيل. مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ استئناف مقرر للجمله التي سدت بلى مسدها...

لما حكى الله تعالى عنهم قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾، ردَّ عليهم وأجابهم بقوله: {بلى}؛ أي: بلى عليهم في شأن الأميين سبيل، فمن ظلمهم وخان حَقِّهم، واستحلَّ مالهم، فإنَّه⁹ يُعاقب ويُدَمَّ، فيتمَّ الوقف على قوله: {بلى}، وما بعده استئناف مقرر للجمله التي سدت بلى مسدها¹⁰، فإنَّ من وفى بما عهد الله إليه في التوراة من الإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وبالقرآن، وأدى الأمانة، واتقى الكفر والخيانة ونقض العهد، فإنَّ الله يحبُّ من كانت هذه صفته، وأنتم معترفون بأنَّ من هذه صفته

¹ (دين الإسلام) في م.

² (أنه) ساقطة من م.

³ الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، 264/2، ط الثالثة - 1420 هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

⁴ (عنا) ساقطة من م.

⁵ (قوله) ساقطة من م.

⁶ (أي) ساقطة من ف.

⁷ (وإن كان ذلك) في نسخة م.

⁸ (لأنه ليس في كتبهم استحلال الأمانة والخيانة فيها) مضافة في م و ف، وليست في أ.

⁹ (فإنه) ساقطة من ف.

¹⁰ ذهب الى هذا القول الزجاج أنظر: الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، 434، ط الأولى 1408 هـ - 1988 م، عالم الكتب - بيروت، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي.

-ولو بقي على حالته الأولى، وهي الشُّرك- لكان على مَنْ ظلمه، واستحلَّ ماله سبيل، لأنَّ يذمَّ ويعاقب بسبب ظلمه له، فبعدما تاب عن شركه، وتحلَّى بالخصال المذكورة، واكتسب محبة الله له، كيف يسلب الذمَّ والعتاب عمَّن ظلمه؟ بل هو مذموم، ومعاقب⁽¹⁾، أشدَّ العقاب.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (76)

والضمير المجرور لمن أو لله وعموم المتقين ناب عن الراجع من الجزاء إلى مَنْ، وأشعر بأنَّ التقوى ملاك الأمر وهو يعم الوفاء وغيره من أداء الواجبات والاجتناب عن المناهي.

قوله: (والضمير المجرور لمن، أو لله). بمعنى: أنَّ كلمة مَنْ إن كانت شرطية، لا بدَّ أن تكون الجملة الجزائية مشتملة على ضمير يربطها بها، وإن كانت موصولة، لا بدَّ من اشتمال الجملة الخبرية بذلك الرابطة، وليس في قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، ضمير يربطه بكلمة مَنْ، إلا أنه جُعِلَ عموم المتقين -لكلِّ مَنْ وفى بعهد- نائباً مناب الزاجع، وأنَّ الضمير المجرور في قوله²: {بعهد}، يجوز أن يرجع إلى مَنْ، بأن يجعل المصدر مضافاً إلى فاعله، وأن يرجع إلى اسم الله -تعالى- المذكور في قوله -تعالى-: {ويقولون على الله الكذب}، بأن يجعل المصدر مضافاً إلى مفعوله³، فإنَّ اليهود قد عاهدوا الله -تعالى- في ضمن إيمانهم بالتوراة، أن يؤمنوا بمحمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبما جاء به⁴، ويجوز أن يكون المصدر مضافاً إلى فاعله، وإن كان الضمير لله -تعالى- وأن يكون مضافاً إلى مفعوله، وإن كان الضمير لمن.

¹ (لأنَّه) ليس في كتابهم استحلال الأمانة والخيانة فيها، بأخذ أموالهم والإضرار بهم) جمل مضافة على هامش نسخة أ.

² (قوله) ساقطة من م.

³ أنظر: الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 98/3، ط الأولى 1422، هـ - 2002 م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، 269/3-270، دار القلم، دمشق، الدكتور أحمد محمد الخراط.

⁴ (وهو المراد بالعهد في هذه الآية) مضافة في نسخة م.

وأوفى ووفى، لغتان¹، بمعنى: إلا أن أوفى لغة أهل الحجاز، ووفى لغة أهل نجد².

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (76)﴾

قوله: {وَأَتَّقَى}، عطف على قوله تاب، (وملاك الأمر) بفتح الميم وكسرهما، ما يقوم به الأمر، يُقال القلب ملاك الجسد³. قوله: وهو يعمّ الوفاء وغيره. يعني أن المراد بالوفاء (وفاء)⁴، ما عاهدوا الله عليه -في ضمن الإيمان بالتوراة- من الإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وبما جاء به مما يتعلّق بتكميل مهم القوة النظرية والعملية، والتقوى، بمعنى الاتقاء عما يؤثم، ويعمّ الوفاء المذكور وغيره، فعطف قوله: {وَاتَّقَى}، على ما قبله، من قبيل عطف⁵ العام على الخاصّ تكميلاً للفائدة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77)﴾

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ بِمَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِيمَانِ بِالرَّسُولِ وَالْوَفَاءِ بِالْأَمَانَاتِ. وَأَيْمَانِهِمْ بِمَا حَلَفُوا بِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ وَاللَّهِ لَنُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَنَنْصُرَنَّهُ، ثَمَنًا قَلِيلًا مَتَاعَ الدُّنْيَا. أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ بِمَا يَسْرَهُمْ أَوْ بِشَيْءٍ أَصْلًا، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَسْأَلُونَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ لَا يَنْتَفِعُونَ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ كِنَايَةٌ عَنْ غَضَبِهِ عَلَيْهِمْ لِقَوْلِهِ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ مِنْ سَخَطٍ عَلَىٰ غَيْرِهِ وَاسْتِهَانٍ بِهِ أَعْرَضَ عَنْهُ وَعَنِ التَّكَلُّمِ مَعَهُ وَالْإِلْتِقَاءِ نَحْوَهُ، كَمَا أَنَّ مِنْ اعْتَدَ بِغَيْرِهِ يَقَاوِلُهُ وَيَكْثُرُ النَّظَرُ إِلَيْهِ. وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ عَلَىٰ مَا فَعَلُوهُ. قِيلَ: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَحْبَارِ حَرَفُوا التَّوْرَةَ وَبَدَلُوا نَعْتَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَكَمَ الْأَمَانَاتِ وَغَيْرِهَا وَأَخَذُوا عَلَىٰ ذَلِكَ رِشْوَةً. وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ أَقَامَ سَلْعَةً فِي السُّوقِ فَحَلَفَ لِقَدْ اشْتَرَاهَا بِمَا لَمْ يَشْتَرَاهَا بِهِ. وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي تَرَافِعِ كَانِ بَيْنَ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ وَيَهُودِيٍّ فِي بئرٍ أَوْ أَرْضٍ وَتَوَجَّهَ الْحَلْفُ عَلَى الْيَهُودِيِّ.

¹ في ف اختان

² أنظر: الفراء، يحيى بن زياد، كتاب فيه لغات القرآن، 49، 1435هـ، تحقيق: جابر بن عبد الله السريع.

³ الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، 380/5، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، 493/10.

⁴ (وفاء) مضافة في نسخة م وف.

⁵ (عطف) ساقطة من م.

قوله تعالى:- {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ}، لما وصف الله -تعالى- اليهود بالخيانة في أموال الناس، وصفهم -في هذه الآية-¹ بغير ذلك من قبائحهم؛ وهو أن يتركوا ما عهد الله إليهم في التوراة، من رعاية ما فيها من التكاليف، والأحكام، ومن جملتها: الإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وبما جاء به من القرآن وأحكامه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77)﴾

ويحرفون بعض ما فيها، إلى ما يوافق أهواءهم، ويكتبون ذلك المحرف بأيديهم، ويحلفون² بأيمانهم الكاذبة، على أنه من عند الله، مثل ما³ كتبوا أنه يجوز الخيانة في أمانة من خالفهم في الدين، وأنه ليس عليهم في الأميين سبيل، وكانوا يشترون -أي يستبدلون، ويأخذون- بدله⁴ ثمنًا قليلًا، وعرضاً يسيراً من الدنيا، كالرشي، التي كانت لهم من أتباعهم، قوله -تعالى-: {وأيمانهم}، مجرور بالعطف على عهد⁵ الله، أي: يستبدلون بما عاهدوا الله عليه، وبما حلفوا به، بقولهم والله لنؤمنن به ولننصرنّه⁽⁶⁾.

قوله -تعالى-: {أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ}، أي: من اختار التروّس والارتشاء، على الوفاء بعهده، ورعاية أيمانه، واستبدل به ثمنًا قليلًا، فأولئك لا نصيب لهم في خير الآخرة ونعيمها⁷، إن لم يتب عنها؛ فإنّه إن تاب عنها، فقد سقط الوعيد بالإجماع.

¹ (الآية) مضافة في م.

² في النسخة م معطوفة على أن يتركوا وكذلك في النسخة ف .

³ (أن) في نسخة م.

⁴ (بدله) ساقطة من ف.

⁵ (عهد) ساقطة من م.

⁶ - نهاية ق 55، ص 2.

- "إِنَّ كُلَّ مَنْ وَفَى بِعَهْدِ اللَّهِ -تعالى- وَاتَّقَاهُ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ".

- "وهو المراد بالعهد في هذه الآية".

- "في هذه الآية".

⁷ الخَلْأَقُ: النصيب من الحظ الصالح. أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، 4/151. ابن منظور، لسان العرب، 10/92.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77)﴾

قوله -تعالى-: {ولا يكلمهم الله}، لما توهم أن هذه الآية، يعارضها قوله -تعالى-: {فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّكَ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، وقوله: {فَلَنَسَأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسَأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ}، دفع هذا الوهم، أولاً- بأنه فسّر الآية، بأنه -تعالى- لا يكلمهم كلاماً ينفعهم ويسرهم. وثانياً- بقوله: أو بشيء أصلاً، يعني أن معنى الآية: أنه -تعالى- لا يكلمهم بغير واسطة، وإنما يكلمهم بواسطة الملائكة¹، فإنه لا يبعد أن يخص أوليائه بكلامه بغير واسطة؛ تشريفاً لهم، ولا يكلم الكفرة والفساق كذلك، بل تكون المحاسبة معهم بكلام الملائكة. وثالثاً- بأنه من قبيل تنزيل وجود الشيء منزلة عدمه، لعدم ترتب الفائدة المطلوبة من وجوده عليه، فإنهم لما لم ينتفعوا بما أنزل عليهم من كلمات الله -تعالى- وآياته، صار كأنه -تعالى- لم يكلمهم، إلا أنه قيل: ولا يكلمهم الله نفيًا لتعلق الكلام الأزلي بهم فيما يستقبل. ورابعاً- بأن نفي تكليمه إياهم، كناية عن سخطه وغضبه عليهم؛ لأن ترك التكلم مع الشخص (من لوازم السخط والغضب عليهم فأطلق اللزوم لينقل منه الى الملزوم واستشهد على كونه كناية عن غضبه عليهم بقوله (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) (لأن النظر) ² عبارة عن تقليب الحدقة نحو الشيء، طلباً لرؤيته. والنظر بهذا المعنى، لا يتصور في حقه -تعالى-، فلا فائدة في نفيه عنه -تعالى-، ولا يجوز أن يكون المراد، نفي ما يترتب عليه من الرؤية؛ لأنه تعالى- بصير بالعباد، ولا أن يكون كناية عن السخط،

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77)﴾

والاستهانة؛ لأنّ اللفظ، إنما يكون كناية عن معنى، إذا جاز إرادة معناه الحقيقي، ولا وجه لإرادته ممتنعة³ في الآية، لعدم الفائدة في نفي ما لا يتصور في حقه -تعالى- عنه فتعين؛

² موجودة في م+ ف وساقطة من ر.

³ (ممتنعة) ساقطة من م و ف.

كونه مجازاً عن السخط، والاستهانة، بخلاف عدم التكلّم، فإنّه يصحّ كونه كناية عن السخط، لجواز إرادة معناه الحقيقيّ. ولما كان المراد بأحد اللفظين، السخط والاستهانة، كان ذلك، شاهداً على أنّ المراد باللفظ الآخر -أيضاً- ذلك

قوله ولا يثني عليهم، كما يثني على أوليائه، مثل ثناء المزكي للشاهد، بأن يصفه بالخير، ويذكر محاسنه، والتركية من الله -تعالى- قد تكون على السنة الملائكة، كقوله -تعالى-: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾¹، وقد يكون بغير واسطة، إما في الدنيا كقوله: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾²، أو في الآخرة، كقوله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾⁽³⁾، ثمّ إنّه -تعالى- لما بين حرمانهم من الثواب، بيّن كونهم في العذاب الشّديد

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77)﴾

المؤلم، حيث قال: ﴿ولهم عذاب أليم﴾، قوله، وقيل: إنّها نزلت في ترافع، كان بين أشعث بن قيس، روي عن الأشعث⁴، أنّه قال: "فيّ والله ذاك كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجددني، فقدمته إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال -عليه السلام-: ألك بيّنة؟ قلت: لا. فقال لليهودي احلف. قلت يا رسول الله، إنن، يحلف فيذهب بمالي؟ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾⁵،

¹ سورة الرعد: آية 23.

² سورة التوبة: آية 112.

³ سورة يس: آية 58. نهاية ق 56، ص 1.

⁴ هو الأشعث بن قيس بن معدّي كريب الكندي، له صحبة، ورواية، حدّث عنه: الشّعبي، وقيس بن أبي حازم، وأبو وائل، وأصبغ عيّنهُ يومَ الزمّوك، وكان أكبر أمراء عليّ يومَ صفين، توفي في الكوفة عام 40 أو 41. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، 37/2، 1405 هـ/1985م، مؤسسة الرسالة، تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط.

⁵ وردت الرواية في البخاري ومسلم بلفظ مختلف، أخرجه البخاري عن عبد الله، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «من حلف على يمين صبر، يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان»، قال: فدخّل الأشعث بن قيس، فقال: ما يحذركم أبو عبد الرحمن؟ قالوا: كذا وكذا، قال: صدق أبو عبد الرحمن، في نزلت، كان بيني وبين رجل أرض باليمن، فخاصمته إلى النبيّ -صلى الله عليه وسلم- فقال: «هل لك بيّنة؟» فقلت: لا، قال: «فيمينه»، قلت: إنّ يخلّف، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عند ذلك: «من حلف على يمين صبر، يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان» فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: 77] إلى آخر الآية. أنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، 121/3، ط الأولى، 1422هـ، دار طوق النجاة، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

أي: يستغلون¹ ويأخذون بما عهد إليهم من أداء الأمانات، وبإيمانهم الكاذبة عرضاً يسيراً من الدنيا، أولئك لا نصيب لهم من خير الآخرة.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (78)﴾

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي بن أخطب. يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل إلى المحرف، أو يعطفونها بشبه الكتاب. وقرئ «يلون» على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها. لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يَلُؤُونَ. وقرئ «ليحسبوه» بالياء والضمير أيضاً للمسلمين.

قوله: يفتلونها بقراءته، أي يصرفونها في قراءة الكتاب عن الاستقامة إلى الاعوجاج، على أن لي الشيء عبارة عن صرفه عن سننه²، وأصل حاله إلى غيره، وقوله: بقراءته، إشارة إلى اعتبار حذف المضاف في قوله: بالكتاب، أي: بقراءة الكتاب، والباء فيه للاستعانة، أو الظرفية، كما في قولك: نزلت بالمكان، أي: فيه، قوله: أو يعطفونها بشبه الكتاب، عطف على قوله يفتلونها بقراءته، والفتل والعطف بمعنى واحد، والفرق بين الوجهين، أن المقدر على الوجه الأول، هو القراءة المضافة إلى الكتاب، وعلى الوجه الثاني، هو الشبه الذي أتوا به من عند أنفسهم، ثم قالوا هذا من عند الله.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (78)﴾

وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تأكيد لقوله: وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وتشنيع عليهم وبيان لأنهم يزعمون ذلك تصريحاً لا تعريضاً، أي ليس هو نازلاً من عنده. وهذا لا يقتضي أن لا يكون فعل العبد فعل الله تعالى. وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه.

¹ يستبدلون في (م+ف).

² أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، 123-121/8، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي. ابن منظور، لسان العرب، 514/11.

ولعل المراد بليّ الألسنة بقرأة الكتاب تغيير المنزل، بتغيير حركاتها الإعرابية؛ تحريفاً يتغير به المعنى، من غير تغيير جواهر الألفاظ، ومواده. كما روي عن القفال¹، أنه قال في تأويل الآية، قوله - تعالى-: {يُلَوُّونَ أَلْسِنَتَهُمْ}، معناه أنهم يعمدون إلى اللفظة، فيحرفونها

عن حركاتها الإعرابية، تحريفاً يتغير به المعنى، وهذا كثير في لسان العرب، فلا يبعد مثله في العبرانية، ويليّ الألسنة بشبه الكتاب، تغيير المنزل إلى ما يغيره، بحسب المادة، والصورة، كما يغيره بحسب المعنى، كما روي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-، أنه قال: "إنّ الفريق الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، هم الذين كتبوا كتاباً شوشوا فيه نعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وخطوه بالكتاب الذي كان فيه نعته -عليه السلام-، ثم قالوا هذا من عند الله².

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (78)﴾

قرأ العامة³ يلوون بفتح الياء وسكون اللام بعدها واو مضمومة، ثم أخرى ساكنة، مضارع لوى، بمعنى قتل وعطف، وقرئ: يُلَوُّونَ، بضم الياء وفتح اللام وتشديد الواو الأولى من لوى، على أنّ التضعيف للتكثير والمبالغة⁽⁴⁾، لا ليست⁵ للتعدية، إذ لو كان للتعدية؛ لتعدى الفعل إلى مفعول آخر؛ لأنه بدون

¹ هو أبو بكرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الشَّاشِيَّ الشَّافِعِيَّ، وُلِدَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَمِئِينَ، تُوفِّيَ سَنَةَ سِتِّ وَثَلَاثِينَ، وله مصنفات لم تصل إلينا: شَرْحُ الرِّسَالَةِ، دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ، مَحَاسِنُ الشَّرِيعَةِ. أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 283/16.

² لم أجد لهذه الرواية أصلاً.

³ وردت القراءات في كلمة: يلوون على النحو التالي: (يُلَوُّونَ) بواو واحد وضم اللام مجاهد، وَحْمِيدٌ وَرَوَى الْقُورَسِيُّ، وميمونة، وَالْعُمَرِيُّ عن أبي جعفر، وابن حماد عن شيبه، وابن المنادي، وأبو قرّة، وخارجة عن نافع (يُلَوُّونَ) مشدد بضم الياء وفتح اللام، زاد الطبراني، وأبو الحسين عن الْعُمَرِيِّ (ولا تُلَوُّونَ) أبو الحسين عن الهاشمي كذلك، الباقر بفتح الياء وإسكان اللام، وهو الاختيار لأنه أشهر (ثُمَّ يَقُولُونَ) رفع محبوب، والتتوري عن أبي عمرو، وعبيد عن ابن كثير، والمنادي، والأصمعي عن نافع والإنطاكي، والمسجدي عن قُتَيْبَةَ عن أبي جعفر، الباقر نصب، وهو الاختيار نسق قوله: (أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ). هذا وفق مرجع واحد في القراءات كما هو مبين ولم أجد هذه الوجوه في الكتب المعتمدة. أنظر: الهذلي، يوسف بن علي، الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، 516، ط الأولى، 1428 هـ - 2007 م، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب.

⁴ نهاية ق 2، ص 56.

⁵ ليست موجودة في م و ف

التضعيف¹ متعدي إلى واحد. وقُرئ: يَلُون، بفتح الياء، وضمّ اللام بعدها واو مفردة ساكنة، وأصلها: يلوون، (فاعل كإعلال يرميون فصار يلوون)²، على قراءة العامة، ثم أبدلت الواو المضمومة همزة، كما في أجوهٍ وأقتت، ثم خُففت الهمزة بإلقاء حركتها على الساكن قبلها، وهو اللام، وحذفت الهمزة، فبقى يَلُون على وزن يَفُون، حيث حذفت عين الفعل، ولامه -معاً-.

هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (78)

قوله: تأكيد لقوله: "وما هو من الكتاب"، بيان لفائدة قوله -تعالى-: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، بعد قوله: ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، مع أنه لا فرق بينهما -من حيث المعنى- إلا أنه قد يكرّر المعنى الواحد بلفظين مختلفين؛ لأجل التأكيد. وما نحن فيه من هذا القبيل؛ لأنّ المقام، مقام التشنيع عليهم، بعدم احترازهم عن الكذب، فيناسبه التأكيد، والتّحقيق، لا سيّما أنّ قوله -تعالى-: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، أبلغ في التشنيع، بالنسبة إلى قوله: ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾، من حيث إنّه يدلّ على أنّهم يقولون ذلك القول الكاذب، تصريحاً لا تعريضاً، بخلاف الأول، فإنّه إنّما يدلّ على ذلك تعريضاً؛ لأنّ لِيّ اللسان -لأجل الحسبان- لا تصريح فيه، بأنّهم يقولون ذلك صريحاً³.

قوله: وهذا لا يقتضي ألا يكون فعل العبد فعل الله -تعالى-، دفع لما يتوهم من أنّ قوله -تعالى-: ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، يصحّ أن تمسك به المعتزلة، فيما زعموا من أنّ أفعال العباد، صادرة عنهم بقدرتهم المؤثّرة، غير مخلوقة لله -تعالى- من حيث إنّه يدلّ على أنّ القول المحرّف -الذي قالوه ولووا به ألسنتهم- صادر عنهم، وما هو من عند الله. ووجه الدّفع، أنّ قولهم: هو من عند الله، ليس معناه أنّ القول⁴ المحرّف، الذي لووا به ألسنتهم، فعل صادر من الله -تعالى- واقع بخلقه وتكوينه، حتى يكون قوله -تعالى-: ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، ما كان لبشرٍ أن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79) ﴿

¹ (للتكثير والمبالغة) لا (لتعد) للتعدية، إذ لو كان للتعدية لتعدى الفعل إلى مفعول آخر لأنّه بدون التضعيف موجودة في م و ف .

² مضافة في (م و ف).

³ في نسخة ف تصريحاً.

⁴ (القول) ساقطة من ف.

وقيل (أن أبا رافع القرظي والسيد النجراني قالوا: يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك رباً، فقال: معاذ الله أن نعبد غير الله وأن نأمر بعبادة غير الله، فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني) فنزلت.

عِنْدِ اللَّهِ، نَفِيًّا لَذَلِكَ، دَالًّا عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ مُسْتَقَلٌّ فِي أَعْمَالِهِ، وَأَنَّ أَعْمَالَهُ، غَيْرَ وَاقِعَةٍ بِقُدْرَةِ اللَّهِ -تَعَالَى-، فَلَا يَصِحُّ -كَوْنِ الْآيَةِ، دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ مَذْهَبِهِمْ، بَلْ مَرَادُهُمْ بِهِ- أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ تَكْذِيبَ وَرَدَ عَلَى عِبْدِهِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المنزل من عنده، على نبيّه موسى -عليه السلام-، وقوله: {وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}، نفي لهذا المعنى، فلا دلالة فيها على صحّة مذهبهم.

قوله -تعالى-: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ}، وهو اسم لجميع بني آدم، لا واحد له من لفظه، كالقوم والجيش، ويوضع موضع الواحد والجمع. قال القرطبي: "لأنّه بمنزلة المصدر"¹. روي أنّ نصارى نجران، كانوا يقولون: إن عيسى -عليه السلام- أمرهم أن يتخذوه رباً، فأنزل الله -تعالى- هذه الآية²؛ تكذيباً لهم ورداً، وقيل إنّها نزلت تصديقاً لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- في جوابه، كما في رافع القرظي، والسيد النجراني، وهو قوله (3): "معاذ الله ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوّة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرون" (79)

وقيل (قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك. قال: لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله)

¹ القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، 121/4، ط الثانية، 1384هـ - 1964 م، دار الكتب المصرية - القاهرة، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.

² ورد هذا القول للضحاك ومقاتل أنظر: "تفسير الثعلبي" 3/ 64 ب، "أسباب النزول" للواحدي: 116، "تفسير البغوي" 2/ 59، "زاد المسير" 1/ 413.

³ . نهاية، ق1، ص57.

أن نعبد غير الله، وأن نأمر بعبادة غير الله، أي: بعبادة غير عبادة الله، بحذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه. وروى أنه -عليه السلام- قال: "معاذ الله أن أمر بعبادة غير الله"¹، والمعنى: ما ينبغي لبشر، أن يجمع بين النبوة، وبين دعاء الخلق إلى عبادة غير الله.

والمراد بالحكم: هو الحكمة، المعبر عنها بإتقان العلم والعمل، أي: بإتقان العلم بالشريعة، وفهم مقاصد الكتاب وأحكامه.

قال تعالى: {وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا}، بمعنى: العلم والفهم، وإيتاء الكتاب، وإن كان² مستلزماً لإيتاء الحكم والنبوة، إلا أنه ذكر إيتاء هذه الثلاثة -على هذا الترتيب- للإشارة إلى أن ترتيب إيتائها، إنما هو على حسب ترتيبها في الذكر، فإنه ينزل الكتاب السماوي أولاً، ثم يحصل للنبي فهم مقاصد ذلك الكتاب وأسراره. وبعدما حصل له فهم ذلك، يؤمر النبي بتبليغ ذلك المفهوم إلى الخلق، وهو مرتبة النبوة، أي الإنباء والإخبار، والفُرْطِي (بضم القاف وفتح الراء وكسر الظاء المعجمة) معناه يهودي منسوب إلى بني قريظة، واحد منهم، والسيد، اسم رئيس وفد بني نجران.

ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون (79)

ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين، والرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل. بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له، فإن فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين. وقرئ «تدرسون» من التدريس وتدرسون من أدرس بمعنى درس كأكرم وكرم، ويجوز أن تكون القراءة المشهورة أيضاً بهذا المعنى على تقدير وبما كنتم تدرسونه على الناس.

¹ وردت الرواية عن ابن عباس في "تفسير الطبري" 3/ 325، "تفسير الثعلبي" 3/ 64 ب، "أسباب النزول" للواحدي: (116)، "تفسير ابن كثير" 1/ 404، "لباب النقول" 54، "الدر المنثور" 2/ 82 وزاد نسبة إخراجها إلى ابن إسحاق، وابن المنذر، والبيهقي في "الدلائل".

² (كان) ساقطة من م ومن ف .

قوله: "ولكن يقول كونوا"، أضمر القول؛ لاقترضاء المقام إضماره، كما في قوله -تعالى-: {فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}، أي: فيقال لهم ذلك قوله، والرَّبَّانِيّ، منسوب إلى الربِّ¹.

ومعنى كون العبد منسوباً إليه -تعالى-²، كونه عالماً به، مواظباً على طاعته، ونسبته إليه -تعالى-، وإن كانت تحصل من غير أن يزداد فيه الألف والنون، إلا أنّهما زيدتا فيه؛ للدلالة على كماله في انتسابه إليه -تعالى- بالمعنى المذكور، كما قالوا: شعراني، ولحياني، ورقباني، عند قصد المبالغة في الوصف: بكثرة الشعر، وطول اللحية، وغلظ الرقبة. وإذا

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79)﴾

قصد مجرد النسبة من غير قصد المبالغة فيها، يقال: هي رقبتي، وشعري، ولحوي، وهذا قول سيبويه⁽³⁾.

قوله -تعالى- {ثم يقول}، منصوب معطوف على قوله: {يؤتيه}، وهذا العطف -لأنهم من حيث المعنى، إذ لو سكت عنه، لم يصح المعنى؛ لأنه -تعالى- قد أتى كثيراً من البشر، صلة التبليغ⁴. وقال المبرد⁵: الربَّانِيّون: أرباب العلم، واحدهم ربَّانيّ، منسوب إلى ربَّان، والربَّان هو الذي يُعلم الخير، ويربِّ النَّاسَ، أي: يعلمهم أمر دينهم، ويصلحهم⁶، والألف والنون، إنّما تزدان في بناء فعلان؛ للدلالة على المبالغة في الاتصاف، كما في: عطشان، وربَّان، وجوعان: وشبعان، ثمّ ضمّت إليه ياء النسبة، كما قالوا: لحياني، ورقباني.

¹ أنظر: ابن منظور، لسان العرب، 403/1.

² (أي: فيقال لهم ذلك قوله والرَّبَّانِيّ منسوب إلى الربِّ، ومعنى كون العبد منسوباً إليه تعالى) ساقطة من ف.

³ نهاية، ق2، ص57. أنظر قول سيبويه: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، 380/3، ط، ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. 144/3

⁴ (قوله تعالى {ثم يقول} منصوب معطوف على قوله {يؤتيه} وهذا العطف لأنه من حيث المعنى إذ لو سكت عنه لم يصح المعنى لأنه تعالى قد أتى كثيراً من البشر صلة التبليغ) ساقطة من م و ف.

⁵ قوله بنصه، في الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن 3/65، ط الأولى 1422، هـ - 2002 م، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، 4/122، ط

الثانية، 1384هـ - 1964 م، دار الكتب المصرية - القاهرة، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.

⁶ أنظر: "الزاهر" 1/576، "تهذيب اللغة" 2/1336 (ربّ)، "تاج" 2/10 (ربب).

ما كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79)

قوله: وهو الكامل في العلم والعمل¹، إشارة إلى أنّ زيادة الألف والنون، في نحو: رَبَّانِيٍّ؛ للدلالة على الكمال في النسبة، فمعنى رَبَّانِيٍّ، أنّه كامل في العلم بربّه، وفي العمل بطاعته، والمواظبة عليها.

قوله: بسبب كونكم معلمين الكتاب، ودارسين له. أي: قارئين، وتالين له، إشارة إلى أنّ الباء في قوله -تعالى-: {بما كنتم}، سببية، متعلقة بقوله: (كونوا)، وأنّ كلمة ما، فيه مصدرية، والمعنى: ليكن قصدكم بتعليم الكتاب، وتعلّمه، معرفة الحقّ؛ للاعتقاد به، ومعرفة الخير؛ للعمل به، فإنّ من اشتغل (بالتعلّم والتعلّم)²، لا لهذا المقصود، ضاع سعيه، وكان كمن غرس شجرة، تعجبه بمنظرها، ولا ينتفع بثمرها.

قوله: وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو، تعلمون، بفتح التاء وسكون العين وفتح اللام³، بمعنى تعرفون، فيتعدى إلى مفعول واحد، وباقي السبعة، بضمّ التاء وفتح العين وتشديد اللام المكسورة، فيتعدى إلى اثنين، أوّلها محذوف، تقديره تعلمون الطالبين الكتاب وقرأ العامّة، تدرّ، بفتح التاء وضمّ الرّاء، والمعنى على قراءتهم بما كنتم تعلمون غيركم، ثم

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79)﴾

تدرسون، أي تقرأون على سبيل التكرير والإدمان. والدّرس التكرار والإدمان على الشّيء، ومن قرأ تدرّسون، من درّس، بالتشديد، يحتمل أن يكون التّضعيف فيه للتّكثير، فيكون⁴ موافقاً لقراءة تعلمون بالتّخفيف، وأن يكون للتّعدية، ويكون المفعولان محذوفين؛ لدلالة المقام عليهما، والتّقدير تدرّسون غيركم العلم، وتحملونهم على الدّراسة. وقرئ تدرّسون، مضارع الدّرس، من باب الأفعال، على أن يكون

¹ (العمل) ساقطة من ف.

² في م و ف موجودة (التعلّم والتعليم)

³ وهذه القراءة بفتح التاء، وإسكان العين وفتح اللام، قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: {تُعَلِّمُونَ} بضمّ التاء وتشديد اللام المكسورة. انظر: "السبعة" 213، "الكشف" 1/ 351.

⁴ (فيكون) ساقطة من م.

أدرس بمعنى دَرَسَ كأكرم وكَرَّم وأنزل وأنزَلَ (1). ونزل قوله ويجوز أن تكون القراءة المشهورة -وهي قراءة تدرسون- ثلاثياً بهذا المعنى، أي بمعنى تدرسون، من باب التفعيل، أو الأفعال، فإنّ درس الثلاثي، قد يكون بمعنى درسه على الناس، كقوله -تعالى-: {لِنَقْرَأْهُ عَلَى النَّاسِ}، قوله ثم يقول -: -وحتى يكون تقدير القراءة المشهورة ومما تدرسونه على الناس قوله عطفاً على قوله ثم يقول -: -على معنى دلالة أن يأمركم، بإضمار أن بعد لا المؤكدة لمعنى النفي السابقة، فإنّه قد شاع زيادة لا لتأكيد النفي، لا سيما مع طول العهد وتخلل الفصل، فالمعنى ما صحّ وما استقام لبشر، أن يؤتیه الله الكتاب، والنّبوة، ثم يترتب عليه أن يقول للناس: كونوا عباداً لي، ولا أن يأمرهم باتخاذ الملائكة والنبیین أرباباً.

ما كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79)

قوله: (أو غير مزيدة)، أي: ويحتمل أن لا تكون كلمة لا مزيدة، بل تكون نافية، معطوفة على قوله: "ثم يقول"، ويكون المقصود نفي أن يترتب على استنباء البشر هذا المجموع، وهو أن يأمر الناس بعبادة نفسه، وينهاهم عن عبادة الملائكة والنبیین، مع استواء الجميع في عدم استحقاقهم للعبادة. وهو معنى قول المصنّف²، وهو أدنى من العبادة إلى العمل³، والحال اتّخاذ أكفائه وأمثاله أرباباً، أقرب (إلى العقل)⁴، من عبادة الناس نفسه في كونه عبادة لمن لا يستحقّها؛ لأنّ حكم المجموع مغاير لحكم الأفراد، فجاز أن يتوهم أن اتّخاذ الجميع أرباباً، أقرب بالنسبة إلى اتّخاذ نفسه ربّاً معبوداً، وإن لم يكن أحد منهم مستحقّاً للعبادة.

¹ ولذلك قال عليه السّلام: "تعوذ بالله من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع" فيجب أن يكون المقصود من تحصيل العلم والعمل به ويا خيبة من لم يجعل العلم وسيلة إلى العمل به.

نهاية، ق2، ص57.

² وقصد به البيضاوي.

³(إلى العمل) ساقطة من م وف.

⁴ مضافة في م و ر.

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80)﴾

وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفاً على ثم يقول، وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله مَا كَانَ، أي ما كان لبشر أن يستتبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً، أو غير مزيدة على معنى أنه ليس له أن يأمر بعبادته وَلَا يَأْمُرُ باتخاذ أكفائه أرباباً، بل ينهى عنه وهو أدنى من العبادة. ورفع الباقون على الاستئناف، ويحتمل الحال وقرأ أبو عمرو على أصله برواية الدوري باختلاس الضم. أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ إنكار، والضمير فيه للبشر وقيل لله.

بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ دليل على أن الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لأن يسجدوا له.

قوله: "ورفعه الباقون"، على الاستئناف، وهي أظهر من القراءة بالتَّصْبِ¹؛ لوقوع الكلام بعد انقضاء الآية، وتام الكلام، فلا يُحْتَاجُ إلى جعل لا مزيدة، وَلَا إلى توجيه النَّفْيِ إلى مجموع الأمرين، وهما: أمر النَّاسِ بعبادة نفسه، ونهيه عن عبادة الملائكة والأنبياء. ومما يدلّ على انقطاع الكلام عما قبله، ما روي عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قرأ وَلَنْ يَأْمُرَكُمْ²، فَإِنْ لَنْ يَأْمُرَكُمْ لا يمكن كونه معطوفاً على يقول؛ لامتناع دخول أن النَّاصِبَةَ على لَنْ.

قوله -تعالى-: {أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ}، الهمزة فيه للاستفهام، بمعنى الإنكار، والمعنى أنه لا يفعل ذلك. وقوله: {بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، متعلق بياْمُرْكُمْ، وبعد ظرف زمان، أضيف إلى

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80)﴾

ظرف زمان ماضٍ. وقوله: {أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، في محل الجرّ؛ لإضافة إذ إليه؛ لأنّ إذ يُضَافُ إلى الجملة مطلقاً، اسمية كانت أو فعلية. وقوله: {بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، دليل على أنّ الخطاب، بطريق الالتفات

¹ القراءة برفع الراء، هي لابن كثير، ونافع، وأبي عمرو، والكسائي، وأبي جعفر، وعاصم برواية الأعشى والبرجمي عن أبي بكر. وكان أبو عمرو يختلس حركة الراء تخفيفاً. والقراءة بالفتح، لعاصم برواية حفص وحماد ويحيى عن أبي بكر، وهي كذلك قراءة ابن عامر، وحمزة، ويعقوب، وخلف. انظر: "السبعة" 213، "المبسوط" لابن مهران: 145 - 146، "حجة القراءات" 168، "الإقناع" 621، "إتحاف فضلاء البشر" (177).

² ذكر هذه القراءة: الطبري في "تفسيره" 3/ 329، والفارسي في "الحجة" 3/ 58، والشعبي في "تفسيره" 3/ 66 أ. وقال الطبري: عن سند هذه القراءة: (فذلك خبر غير صحيح سنده). "تفسيره" 3/ 329.

في قوله: {أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ}، للمسلمين، غاية ما في الباب أن يعدل إلى خطابهم في أثناء الردّ على عبده عيسى وأمثالهم (1).

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (81)

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قِيلَ إِنَّهُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَإِذَا كَانَ هَذَا حُكْمَ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ الْأَمُّ بِهٖ أَوْلَىٰ. وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ تَعَالَىٰ أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَأَمَمَهُمْ وَاسْتَعْنَىٰ بِذِكْرِهِمْ عَنِ ذِكْرِ الْأُمَّمِ. وَقِيلَ إِضَافَةُ الْمِيثَاقِ إِلَى النَّبِيِّينَ إِضَافَتُهُ إِلَى الْفَاعِلِ، وَالْمَعْنَىٰ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ الَّذِي وَثَقَهُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَىٰ أُمَّمِهِمْ. وَقِيلَ الْمُرَادُ أَوْلَادَ النَّبِيِّينَ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ، وَهَمَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ، أَوْ سَمَاهُمْ نَبِيِّينَ تَهْكَامًا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِالنَّبِيَّةِ مِنْ مُحَمَّدٍ لِأَنَّا أَهْلُ الْكِتَابِ وَالنَّبِيُّونَ كَانُوا مِنَّا، وَاللَّامُ فِي لَمَّا مَوْطِئُهُ لِلْقَسَمِ لِأَنَّ أَخَذَ الْمِيثَاقَ بِمَعْنَى الْإِسْتِحْلَافِ، وَمَا تَحْتَمِلُ الشَّرْطِيَّةَ وَلِتُؤْمِنَنَّ سَادَ مَسَدِ جَوَابِ الْقَسَمِ وَالشَّرْطُ وَتَحْتَمِلُ الْخَبْرِيَّةَ. وَقَرَأَ حَمْزَةً «لَمَّا» بِالْكَسْرِ عَلَىٰ أَنَّ مَا مُصَدِّرِيَّةٌ أَيْ لِأَجْلِ إِيْتَائِي إِيَّاكُمْ بَعْضَ الْكِتَابِ، ثُمَّ مَجِيءُ رَسُولٍ مُصَدِّقٍ لَهُ أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ لِتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلِتَنْصُرُنَّهُ، أَوْ مَوْصُولَةٌ وَالْمَعْنَىٰ أَخَذَهُ لِذَلِكَ الَّذِي آتَيْتُكُمْ بِهِ وَجَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لَهُ. وَقَرَأَ «لَمَّا» بِمَعْنَى حِينَ

قوله -تعالى-: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ}، العامل في إذ، كلّ ما يحتمل أن يكون انكر على أن يكون الخطاب لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأن يكون أذكروا على أن يكون الخطاب لأهل الكتاب، ويحتمل أن يكون قال في قوله: {قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ}.

قوله قيل إنّه على ظاهره، وهو أنّه -تعالى- أخذ من النّبیین -خاصة- ميثاقهم وعهدهم، على أنّه -تعالى- مهما بُعث إليهم رسول مصدّق لما معهم، أي موافق للكتاب الذي معهم،

1. نهاية، ق2، ص: 58.

كما تقول: (ما كان من زيد إتيان ولا قيام) تريد نفي كلّ واحد من الأمرين عن زيد.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (81)

مؤيِّداً بالمعجزات الواضحة؛ ليصدقنه في دعوى الرِّسالة، ولينصرتَه، أي: لتعيننه بالإيمان به، إن أدركتم آتيتكم، أو لمن أجل ما آتيتكم على أن أصله لمن ما بالإدغام فحذف إحدى الميمات الثلاث استتقلاً. وقرأ نافع «آتيناكم» بالنون والألف جميعاً. قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي أي عهدي، سمي به لأنه يؤصر أي يشد. وقرئ بالضم وهو إما لغة فيه كعبر وعبر أو جمع إصار وهو ما يشد به. قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا أي فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار. وقيل الخطاب فيه للملائكة. وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَأَنَا أيضاً على إقراركم وتشاهدكم شاهد، وهو توكيد وتحذير عظيم.

زمان بعثته، وبأن تأمروا أمتكم بالإيمان به، وبيان نعتة لهم إن لم يدركوا زمان بعثته، فأخذ من موسى ميثاقاً بأن يؤمن بعيسى ومحمد، وأخذ من عيسى ميثاقاً بأن يؤمن بمحمد -صلى الله عليه وسلم- والعهد -على هذا الوجه- وإن كان مأخوذاً من أمم النبيين -أيضاً- إلا أنه اكتفى بذكر أخذه من النبيين؛ لدلالته على أخذ ذلك من الأمم بطريق الأولوية؛ لأن توصية المتبوعين، وأخذ ميثاقهم، يدل على توصية الأتباع بطريق الأولي. وإنما جعل هذا المعنى ظاهراً؛ لأن الظاهر أن يكون الخطاب في قوله: ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾، وقوله: ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مَعِ النَّبِيِّينَ، ويكون الميثاق¹ المأخوذ منهم، ما وثقه الله -تعالى- عليهم، وهو أن

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (81)

يؤمنوا بمن جاءهم من الرسول المصدق لما معهم، وأن ينصروه بأيّ طريق أمكن، فالموثق هو الله -تعالى-، والموثق عليهم هم النبيون، وإضافة الميثاق إليهم، إضافته إلى مفعوله، لكن ما وثقه الله -تعالى- على النبيين، يسري على أممهم بطريق الأولي؛ لأن أحكام العهد على المتبوع، يستلزم أحكامه على أتباعه.

¹ في تفسير الميثاق قال الطبري: حين أخذ الله ميثاق النبيين = "وميثاقهم"، ما وثقوا به على أنفسهم طاعة الله فيما أمرهم ونهاهم. أنظر: الطبري، جامع البيان، 550/6.

قوله: (وقيل)، معناه: أنه -تعالى- أخذ الميثاق من النبيين وأمهم، فالمؤثَّق عليهم، هم مجموع المتبوعين والأتباع، إلا أنه ذكر المتبوعين، وأريد المجموع، على طريق تغليب المتبوعين على الأتباع، وإضافة الميثاق -أيضاً- إلى مفعول، وهو المؤثَّق عليهم.

قوله -: أو سَمَاهُم نَبِيِّن تَهَكِّمًا، كأنه قيل: وإذ أخذنا ميثاق الذين يزعمون أنهم أحقاء بالنبوة، بناء على زعمهم الفاسد، قوله واللام في لما بفتح اللام وتخفيف الميم، مُوطئة للقسم، وهي اللام التي تدخل على الشرط، بعد تقدّم القسم -لفظاً أو تقديرًا- ليؤذن بأنّ الجواب للقسم، لا للشرط؛ لأنها لما دخلت على أداة الشرط، وسبق نكرها على نكر أداة الشرط، كان تقدّمها على أداة الشرط¹، مرجحاً لها على الأداة في استحقاقها للجواب المذكور بعدهما، فإنّها بتقدّمها على الأداة صارت كأنّها وطأت⁽²⁾.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81)

طريق جواب القسم؛ ليسهل وصول القسم إليه³، فإنّ التوطئة، مصدر وطأ، بتضعيف العين، الدال على كثرة، وطء الطريق؛ ليسهل بها وصول من سلك فيها إلى مقصده، فسُميت هذه اللام موطئة؛ لكثرة وطئها طريق جواب القسم؛ ليسهل وصول القسم إليه، فإنّ من سمعها -بعد تمام القسم داخله على أداة الشرط- سهل عليه فهم الجواب، وصرفه إلى القسم.

والميثاق في اللغة، عقد مؤكّد باليمين، فكان أخذ الميثاق في معنى الاستخلاف، كأنه قيل: وإذا استخلفنا النبيين فحلفوا قائلين: والله لما أتانا الله شيئاً من كتاب وحكمة، ثمّ جاءنا رسول مصدّق لما معنا لنؤمننّ به، دخلت اللام على أداة الشرط، بعد تقدّم القسم حكماً؛ ليوطئ طريق جواب القسم، ويسهل وصول القسم إليه، واللام التي في قوله: لتؤمننّ به، لام⁴ جواب القسم.

¹ (وسبق نكره على نكر أداة الشرط كان تقدّمها على أداة الشرط) ساقطة من ف.

² نهاية، ق 1، ص 59.

سميت موطئة لأنها لما كانت في صورة لام جواب القسم، وطأت وتهيات ما يصلح أن يكون جواباً للشرط لأن يكون جواباً للقسم وسهلت للسامع أن يفهم كونه جواب القسم ويجعل جواب الشرط محذوفاً لدلالة جواب القسم عليه. فإنّ هذا المعنى هو الظاهر من قوله: ثمّ جاءكم رسول.

كما في قوله -تعالى-: {أَشْرَكْتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ}.

³ (إليه) ساقطة من ف.

⁴ (لام) ساقطة من م ور .

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ
وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81)

قوله: وما تحتمل الشَّرطيَّة (فيكون)¹، في محل النَّصب على المفعول به للفعل الذي بعدها، وهو آتيتكم، وهذا الفعل، مستقبل معنى؛ لكونه في حيز الشَّرط، ومحلّ الجزم، والتَّقدير لأيّ شيء²، آتيتكم من كتاب وحكمة؛ ليؤمننَّ كذا قوله، وتحتمل الخبريَّة على، ويحتمل أن يكون كلمة ما، موصولة في محلّ الرِّفع على الابتداء، ويكون آتيناكم صلتها، بحذف العائد، تقديره للذي آتيناكموه، (ومن كتاب) حال اما من الموصول، أو من عائده، وقوله: ثمَّ جاءكم رسول، عطف على الصِّلة، وهي فلا بدّ من رابط، يربط هذه الجملة، بما قبلها، فإنّ المعطوف على الصِّلة، صلة، ثمَّ قيل: الرِّابط محذوف، تقديره: ثمَّ جاءكم به رسول، فحذف به؛ لطول الكلام، ولدلالة المعنى عليه، وقيل عموم كلمة ما، في قوله: لما معكم، يقوم مقام العائد، فإنّ قوله: ما معكم، يتناول ما يتناوله

قوله: لما آتيتكم من كتاب وحكمة، فهو نظير قوله -تعالى-: فإنه من يتقّ ويصبر فإنّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، فإنه -تعالى- لم يقل: لا يضيع أجره، بل اكتفى بربط الظاهر وعمومه، لما يرجع إليه الضمير، وقوله: لتؤمننَّ به، جواب قسم مقدر، وهذا القسم المقدّر وجوابه، خبر للمبتدأ، الذي هو قوله: لما آتيتكم.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ
وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81)

قوله. وقرأ حمزة -لما ذكر وجه قراءة العامّة- لما آتيتكم، بفتح اللّام، وتخفيف الميم، ذكر أنّ حمزة -وحده- قرأ لما، بكسر اللّام³، وتخفيف الميم، على أنّها لام التعليل، وأنّ كلمة ما مصدرية، واللّام متعلّقة بقوله: أخذ، وتعليل له⁽⁴⁾.

¹ مضافة في ف.

² (وهذا الفعل مستقبل معنى لكونه في حيز الشَّرط ومحلّ الجزم والتَّقدير لأيّ شيء) ساقطة من ف.

³ انظر: "السبعة" 213، "حجة القراءات" 3/ 62، "المبسوط" لابن مهران: 146.

⁴ . نهاية، ق2، ص59.

لأنّ اللّام الموطّئة -على ما ذكر في النحو- هي اللّام الداخلة على أداة الشَّرط في نحو: {لئن أشركت ليحبطن عملك}، ولم يسمع أن يكون اللّام الداخلة على الموصول موطّئة، فاحتمال كونها خبرية ينافي كون اللّام موطّئة. واللّام فيه لام الابتداء، كما في قولك: لزيد أفضل من عمرو.

ومعنى الآية على قراءة حمزة، لأجل إبتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة، ثم لمجيء رسول مصدقاً لما معكم لتؤمنن به، على أن ما مصدرية، والفعالان معها، وهما: آتيتكم، وجاءكم، في معنى المصدرين، دخلت اللام عليهما؛ للتعليل، على معنى: أخذ الله ميثاقهم؛ لتؤمنن بالرسول الذي جاءكم مصدقاً لما معكم، ولتصرنه، لأجل أنني آتيتكم الكتاب والحكمة، فإن من اختص بهذه الفضيلة، يجب عليه أن يؤمن بجميع من بعثه الله -تعالى- رسولاً؛ ولأجل أن الرسول الذي أمركم بالإيمان به، ونصرته، موافق لكم، غير مخالف، فإن كونه موافقاً لكم، يوجب إيمانكم به، ونصرته.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81)

قوله: أو موصولة، أي: ويجوز ألا يكون كلمة ما -على قراءة حمزة- مصدرية، بل يكون موصولة، بمعنى الذي، ويكون آتيتكم صلتها، ويكون ثم جاءكم معطوفاً على الصلة، والرابط محذوف، تقديره: أخذه للذي آتيتكموه، وجاءكم رسول مصدق له قوله. وقرئ لماً، بفتح اللام وتشديد الميم، إما على أن يكون لماً ظرفية، بمعنى حين، فيقدر لها جواب من جنس جواب القسم: أي حين آتيتكم بعض الكتاب، ثم جاءكم رسول، وجب عليكم الإيمان به ونصرته، وإما على أن يكون أصلها: لمن ما بمن التعليلية، وما المصدرية، فيكون اللام زائدة لا موطئة؛ لأن الموطئة إنما تدخل على أداة الشرط، ولا تدخل على حرف الجر، أي: لمن أجل ما آتيتكم من كتاب وحكمة وجاءكم رسول يصدق، استحلقتكم لتؤمنن به، فأدغمت النون في الميم؛ لتقاربهما في المخرج، فاجتمع ثلاث ميمات: ميم من، وميم ما، والميم التي انقلبت من النون لأجل الإدغام، فحذفت إحدى الميمات؛ دفعاً للثقل الحاصل من التكرار، فصار لماً.

قوله -تعالى- قال: {أقررتم}، الظاهر أن المنوي فيه قال ضمير الباري -تعالى-، أي: قال الله -تعالى- للنبيين: أقررتم بما وثقت به عليكم من العهد المؤكد؟ والإقرار إفعال منقول من القرار، يقال: قر الشيء يقر، إذا ثبت ولزم مكانه، أقر غيره، أي: أثبتته في مكانه. ويقال

والأخذ، بمعنى القبول، كما في قوله -تعالى-: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81)

لمن أقرّ بشيءٍ مُقرّ؛ لأنه يثبت حقّ غيره على نفسه¹، وحقيقة الاستفهام غير متصور في حقه - تعالى-، فتكون مجازاً عن التّقرير. {وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ}، والمعنى: وقبلتم على ذلك عهدي، والاصر العهد التّقيّل، ويطلق على الذّنب، وعلى التّقل مطلقاً⁽²⁾. مطلق والإصر حبل قصير، يشدّ به في أسفل الخباء إلى وتد، يسمّى العهد إصرًا؛ لأنّه يشدّ به.

قوله "كعبر" وعُبر، بكسر العين وضمّها، فإنّها لغتان، بمعنى: من العبور، وهي النّاقة القويّة على السّفر. يُقال: ناقة عبر أسفار، أي: قويّة يقطع عليها المسافات البعيدة، والأسفار الطّويلة، يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث. وكسر العين فيه أفصح من ضمّها. وقرأ أبو بكر عن عاصم أُصري بضمّ الهمزة، والظّاهر أنّه لغة في معنى المكسورة، ويحتمل أن يكون جمع أصار، كأزر جمع أزار. قوله عطف على الجملة المتقدّمة، بمعنى أنّ الفاء في قوله: {أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ}، (لعطف الجملة على الجملة، والجملة المعطوف عليها، إمّا الجملة

فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (82)

فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ بَعْدَ الْمِيثَاقِ وَالتَّوَكِيدِ بِالْإِقْرَارِ وَالتَّشْهَادَةِ. فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ المتمرّدون من الكفرة. هم الفاسقون عن الطّاعة. المذكورة قبلها، أو الجملة المقدّرة، وتقدير الكلام على الأوّل: فأولئك الذين³ يتلوون ويعرضون عن الإيمان بهذا الرّسول ونصرتّه، وقبول عهد الله تعالى فيه،

(فغير دين الله يبغون)، بعدما أخذ الله -تعالى- ميثاقهم وعهدهم المؤكّد، فلما قصد إنكار مضمون هذه الجملة المعطوفة، وسقطت همزة الإنكار بينهما؛ إنكاراً لابتغائهم ديناً غير ما اختاره الله لهم، وهو ما جاء به الرّسول المصدّق لما معهم، فإنّ ابتغاء ذلك بعد اتّضح الحقّ، وأخذ المواثيق والعهود، والتّشاهد غاية الجهالة والحماقّة، فإن قيل: جعلها معطوفة على الجملة المتقدّمة، يستلزم عطف جملة فعليّة على اسميّة، وليس ذلك بفصيح، يجاب بأنّ ذلك أن تضمن نكته كان فصيحاً، وهي تقيعهم ببيان أنّهم يبغون ذلك في الحال.

¹ (أقرّ غيره، أي أثبته في مكانه. ويقال لمن أقرّ بشيءٍ مُقرّ؛ لأنه يثبت حقّ غيره على نفسه) ساقطة من م و ف. انظر (مادة: قرر) في "اللسان" 6/ 3579، و"التاج" 7/ 380.

² نهاية، ق1، ص60.

³ مضافة في ف وم، وليست في الأصل أ.

فإن قيل: جعلها معطوفة على الجملة المتقدمة ينافي ما تقتضيها الهمزة من الصدارة؛ لكونها متوسطة بين المعطوف والمعطوف عليه، قلنا إنما تقتضي أن تكون في صدر الجملة التي قصد إنكار مضمونها، وقد حصل؛ لأنّ المعنى أفيغون غير دين الله، بناء على أن موضع الهمزة، هو لفظ يبغون، لا لفظ فغير؛ لأنّ الاستفهام إنما يكون عن الأفعال والحوادث التي تتعلّق بالذوات، وكذا الإنكار لا يتوجّه إلى أنفس الذوات، بل إلى عوارضها (1).

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83)﴾

(أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ) عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للإنكار، أو محذوف تقديره أتولون فغير دين الله تبغون، وتقديم المفعول لأنه المقصود بالإنكار والفعل بلفظ الغيبة عند أبي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب، وبالتالي عند الباقيين على تقدير وقل له. (وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً) أي طائعين بالنظر واتباع الحجة، وكارهين بالسيف ومعينة ما يلجئ إلى الإسلام كنتق الجبل وإدراك الغرق، والإشراف على الموت. أو مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فإنهم لا يقدرون أن يمتنعوا عما قضى عليهم (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) وقرئ بالياء على أن الضمير لمن.

إلا أنه قدّم المفعول، وهو قوله: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ}، على فعله؛ لكونه أهمّ من حيث إنّ الإنكار الذي هو معنى الهمزة، لا يتوجّه إلى نفس² الابتغاء، بل يتوجّه إلى تعلّقه بالدين الباطل. وأعلم أنّ هذه الجملة، لو عطفت على الجملة المتقدمة بالواو، وقيل: هم الفاسقون وغير دين الله يبغون؛ لصحّ المعنى، إلا أنّ للفاء فائدة جليّة، وهي التوبيخ البليغ، فإنّ الفاء تدلّ على أنّهم يبغون ذلك عقب أخذ الميثاق، وقبول أمر الله -تعالى- وعهده، وتقدير الكلام على تقدير أن تكون هذه الجملة، معطوفة على الجملة المتقدمة ما ذكره بقوله: أيتولون فغير دين الله يبغون، وصدارة الهمزة ظاهرة على هذا التقدير.

قوله -تعالى-: {وله أسلم}، جملة خالية من فاعل يبغون، أي: كيف يبغون غير دينه؟ والحال: أنّ كلّ من في السماوات والأرض أسلم له، أي: خضع له وانقاد. وذلك لأنّ كلّ

¹ نهاية، ق2، ص60.

² (نفس) ساقطة من ف ور.

﴿أَفَعَبَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83)﴾

ما سوى الله -تعالى- ممكن لذاته، وكلّ ممكن لا يوجد إلا بإيجاده -تعالى- ولا يُعَدَم إلا بإعدامه، فإنّ، كلّ ما سوى الله -تعالى- منقاد خاضع لله -تعالى- في كلّ واحد من طرق وجوده وعدمه، وفي كلّ ما طرأ عليه من أحواله، وتقديم الطّرف في قوله: "وله أسلم"، يفيد الحصر، كأنّه قيل له: أسلم جميع ما سواه لا لغيره، فهذه الآية تدلّ على وحدة الصّانع، من حيث دلالتها على أنّ كلّ ما سواه لا يوجد إلا بإيجاده، ولا يفنى إلا بإفنائته.

وقوله تعالى: {طوعاً وكرهاً}، مصدران في موضع الحال، والتّقدير: طائعين وكارهين، والطّوع¹ الانقياد والاتباع بسهولة وإرادة، والكره² ما كان بصعوبة وإباء من النفس، فإنّه لا سبيل لأحد إلى الامتناع عليه -تعالى- في مراده، بل ينزلون على مراده طائعين أو كارهين، فأهل النّظر والاستدلال ينقادون لله -تعالى- طوعاً، فيما يتعلّق بالدين؛ عملاً بمقتضى النّظر الصّحيح، واتباعاً للحجّة والبرهان، والمقصدون في أمر النّظر، ينقادون له -تعالى- في ذلك، كرهاً وخوفاً من سيف المجاهدين، أو ممّا عاينوه ممّا يلجئهم إلى الانقياد، كنتقّ الجبل فوق بني إسرائيل، وإدراك الغرق في حقّ فرعون، فإنّه لمّا أدرك الغرق⁽³⁾، قال: {أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ}. وكالإشراف على الموت، فإنّ الكفار يسلمون كرهاً، في وقت البأس ومعاناة الموت، ولا ينفعهم ذلك الإسلام،

﴿أَفَعَبَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83)﴾

قال -تعالى-: {فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا}، قوله: مختارين ومسخرين، عطف على قوله: طائعين وكارهين، بمعنى: أنّ الطّائع في الفعل، يطلق على معنيين: الأوّل- من يفعل باختياره ما يرضاه، ويوافق رأيه. ويقابله الكاره، وهو من يفعل باختياره ما لا يرضى به؛ لكونه أهون الضّررين وأسهله، كمن آمن خوفاً من سيف المجاهدين، فإنّه كاره للإيمان (غير راض به، وإن آمن باختياره).

والثاني: هو الفاعل بقدرته واختياره⁴، سواء كان ما جعله مرضياً عنده، أم لا، ويقابله الكاره، بمعنى المسخر، وهو المذلل لإرادة الفاعل، المختار مطواعاً لقدرته، وإرادته فيما صدر عنه من المكروه

¹ أنظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، 431/3. ابن منظور، لسان العرب، 240/8.

² أنظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، 172/5. ابن منظور، لسان العرب، 160/5.

³ نهاية ق1، ص60.

⁴ مضافة في ف و م، وغير موجودة في الأصل.

والمسخر، لا اختيار له في ما أتاه من المكروه؛ لأنّ الاختيار ترجيح ما هو الخير من الأمرين، وذلك يستدعي تمكّن الفاعل من كلّ واحد من الأمرين، والمسخر لا يمكن له ترك الفعل.

ذكر في التيسير أنّ أخذ الميثاق كان على ثلاثة أوجه: ميثاق الذرية، وهو في قوله: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ}، وميثاق الأنبياء تبليغ الرسالة، وهو في قوله: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ} ... الآية، وميثاق

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83)﴾

الأنبياء بالإيمان بمحمد على التعيين -صلى الله عليه وسلم-، وهو في هذه الآية: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ} ¹ الآية، إلى هنا كلامه. اختار صاحبه قوله: من ذهب إلى أنّه -تعالى- أخذ الميثاق من النبيين، في أمر محمد -صلى الله عليه وسلم- بأن أخذ منهم الميثاق على أن يأخذوا ميثاق أممهم، على أن يؤمنوا بمحمد -صلى الله عليه وسلم- ويصدقوه، وينصروه إن أدركوه، وبأن أخذ الميثاق على النبيين وأممهم جميعاً، في أمر محمد -صلى الله عليه وسلم- واكتفى بذكر الأنبياء؛ لأنّ العهد من المتبوع، عهد على الأتباع، ويؤيده ما روي عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أنّه قال: "لم يبعث الله نبياً من آدم ومن بعده إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد -صلى الله عليه وسلم-، وأخذ العهد على قومه لتؤمننّ به ولتتصرنّه إن بُعث وهم أحياء" ². فعلى هذا يكون المراد بالرسول في قوله: {ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ}، هو محمد -صلى الله عليه وسلم- وقد مرّ قول من ذهب إلى أنّه -تعالى- أخذ الميثاق من الأنبياء خاصة، أن يبلغوا كتاب الله -تعالى- ورسالته إلى عباده، وأن يصدق

¹ مقطع من الآية 81 من سورة آل عمران، تمام الآية: " وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81)".

² أنظر هذه الرواية: الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 105/3، ط الأولى 1422، هـ - 2002 م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 62/2، ط الرابعة، 1417 هـ - 1997 م، دار طيبة للنشر والتوزيع، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83)﴾

بعضهم بعضاً، وأخذ العهد على كلِّ نبيٍّ أن يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء⁽¹⁾، وينصره إن أدركه، وإن لم يدركه أن يأمر قومه بنصرته إن أدركوه، وهذا على تقدير أن يكون تقدير الآية: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لتبلغنَّ إلى الناس ما آتيتكم من كتاب وحكمة، إلا أنه حذف تبليغنَّ؛ لدلالة الكلام عليه، فإن قيل قوله: {لما آتيتكم}، إن كان خطاباً لجميع الأنبياء بجمعهم، ما أوتوا الكتاب، وإنما أوتي بعض منهم، وإن كان خطاباً مع الأمم، فالإشكال أظهر، أجيب عنه بوجهين: الأول- أن جميع الأنبياء - عليهم السلام- أوتوا الكتاب، بمعنى: أن كلَّ واحد منهم مهتدٍ به، داعٍ إلى العمل به، وإن لم ينزل عليه. والثاني- أن أشراف الأنبياء قد أوتوا الكتاب، فوصف الكلِّ بوصف الأشراف، فإن قيل: ما وجه قوله -تعالى-: {قد جاءكم رسول}، والرسول لا يجيء إلى النبيين، وإنما يجيء إلى الأمم، أجيب: بأنه إن حمل قوله -تعالى-: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ}، على أخذ ميثاق أممهم، فقد اندفع الإشكال. وإن حمل على أخذ ميثاق النبيين أنفسهم، كان معنى قوله: {ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُول}، أنه إن جاء في زمانكم، فإن قيل محصل الآية، أنه -تعالى- أخذ الميثاق على جميع الأنبياء، بأن يؤمنوا بكلِّ رسول يجيء مصدقاً لما معهم، فما معنى ذلك الميثاق وأخذه؟ الجواب:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83)﴾

أنه لا شك في أنه -تعالى- نصَّب دلائل دالَّة على أن الانقياد لأمر الله، واجب، وقرَّر بتلك الدلائل في عقولهم، فتلك الدلائل التي تقررت في عقولهم، توجب عليهم أن يصدقوا كلَّ رسول؛ بعثه الله لدعوة الخلق، وصدَّقه في دعوى الرِّسالة، بأن خلق في يده معجزات واضحة، ويؤمنوا به وينصروه، فكأنه -تعالى- بتقرير تلك الدلائل في عقولهم، أخذ ميثاقهم، وعهدهم بذلك. قوله -تعالى-: {وإليه ترجعون}، يحتمل أن تكون جملة مستأنفة، سيقَّت للإخبار بذلك، تهديداً أو إبعاداً لمن يبغى غير دين الله، بأن يرجع إليه -تعالى- أي: إلى حيث لا يملك الأمر فيه سواه؛ ليعذبه أشدَّ العذاب، ثم لا يكون لهذه الجملة محل من الإعراب، ويحتمل أن يكون معطوفاً على قوله: وله أسلم، فتكون في محلِّ النَّصْب

1 . نهاية ق2، ص61.

كالإيمان المكلف اتباعاً للنظر الصحيح.

• طبعاً كمن مرض أو افتقر أو مات وغيرهم ممن قام به ما يخالف طبيعه، فإنهم مسخرون مذلون لإرادة الفاعل المختار في حقهم لا قدرة لهم في الامتناع عما قضى عليهم من المرض والفقر ونحوهما، وكذا الكافر فإنه لا قدرة له في الامتناع عن الكفر إذ لا تأثيم لقدرة العبد.

على أنه حال مثله، والمعنى: يبغون غير دين الله والحال أنه أسلم له جميع من سواه، وأنهم إليه يرجعون، بياء الغيبة، على قراءة حفص عن عاصم¹؛ بناء على إسناد الفعل إلى من أسند إليه يبغون، أو إلى الضمير الرجاع إلى من، قوله: {من في السموات}، وقرأ الباقر بقاء الخطاب في تبغون، وهي ترجعون، إلا أبا عمرو، فإنه قرأ يبغون، بياء الغيبة؛ لإسناد

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيِّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84)

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيِّونَ مِنْ رَبِّهِمْ أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه ومتابعيه بالإيمان، والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه إليهم وأيضاً المنسوب إلى واحد من الجمع قد ينسب إليهم، أو بأن يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك إجلالاً له، والنزول كما يعدى إلى لأنه ينتهي إلى الرسل يعدى بعلى لأنه من فوق، وإنما قدم المنزل عليه السلام على المنزل على سائر الرسل لأنه المعرف له والعيار عليه لا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ بالتصديق والتكذيب.

الفعل إلى ضمير من في قوله: "فمن تولى"، وقرأ ترجعون، بقاء الخطاب، وقال: لأنّ الأول خاص، والثاني عام²؛ لأنّ مرجع جميع الخلق إلى الله -تعالى- وإلى مقام حسابه. قوله أمر للرسول، إشارة⁽³⁾ إلى وجه توحيد الضمير في قل، وجمعه في آمنا وعلينا، ولما ورد أن يقال: كيف يجوز أن يكون ضمير علينا، عبارة عن نفسه -عليه السلام- ومتابعيه، مع أنّ القرآن إنّما أنزل عليه لا على أتباعه؟ أجب عنه بقول: والقرآن نزل عليهم أيضاً، بواسطة تبليغه -عليه السلام- إياه لهم.

قوله: أو بأن يتكلم، عطف على قوله: بأن يخبر، قوله إجلالاً؛ علّة لأمره -تعالى- إياه بأن يتكلم معظماً لنفسه، أي: أمره بذلك إجلالاً من الله -تعالى- لقدر نبيّه، ولما ورد أن يقال:

¹ القراءة بالتاء في {تبغون}، لابن كثير، ونافع، وابن عامر، وعاصم -في رواية أبي بكر عنه-، وحمزة، والكسائي، و القراءة بالياء في {تبغون}، لأبي عمرو، وعاصم -برواية حفص-، ويعقوب. انظر: "علل القراءات" للأزهري: 1/ 122 - 123، "الحجة" للفارسي: 3/ 69، "التيسير" 89، "التبصرة" 462.

² انظر توجيه هذه القراءة في "علل القراءات" للأزهري: 1/ 123، "الحجة" للفارسي: 3/ 69 - 70، "حجة القراءات" لابن زنجلة: 170، "الكشف" لمكي: 1/ 353.

³ . نهاية، ق 1، ص 62.

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (84)

وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ منقادون أو مخلصون في عبادته.

كيف عُدي الإنزال في هذه الآية بحرف الاستعلاء، وعُدي في قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ بكلمة إلى؟ أجب عنه: بأنّ الوحي ينزل من فوق، وينتهي إلى الرّسول، فتارة روعي جهة نزوله من فوق، وتارة جهة انتهائه إلى المنزل عليه.

فُذِّمَ ذكر الإيمان بالله، على ذكر سائر ما يجب الإيمان به؛ لأنّ الإيمان بالله أصل، يتوقّف عليه صحّة الإيمان بسائر ما يجب الإيمان به، وقدم ذكر القرآن، على ذكر الكتب المنزلة على سائر الرّسل¹؛ لتقدمه على سائر الكتب، من حيث كونه معرّفًا لأحوال سائرته.

قوله: "منقادون"، على أن يكون الإسلام، يعني: الاستسلام وهو الانقياد. قوله أو مخلصون، على أن يكون بمعنى: جعل الشيء سالمًا خالصًا، ويكون همزة الأفعال المتعدّية، ويحذف المفعول للعلم به، وهو الطّاعة والعبادة، لما أخبر - عليه السّلام - عن نفسه وعن أتباعه، بأنّهم آمنوا بالله، أخبر عنهم - أيضًا - بأنّهم لا يفرّقون بين الأنبياء، بأن يؤمنوا ببعضهم، ويكفروا ببعضًا، وبأنّهم المختصّون بالإسلام منه - تعالى - دون من خالفهم، وأنّهم يخصّون إسلامهم به - تعالى -، لا يسلمون أحدًا غيره، ويدلّ على الحصرين، تقديم نحن وله، ثمّ أنّه - تعالى - لما أمره - عليه السّلام - بأن يخبر عن نفسه، وعن متابعيه، بأنّهم آمنوا بالله، وبما ذكر بعده، إلى قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، بيّن أنّ الدّين هو الإسلام

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (85)

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا أَي غير التوحيد والانقياد لحكم الله. فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ الواقعين في الخسران، والمعنى أن المعرض عن الإسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بإبطال الفطرة السليمة التي فطرَ الناسَ عَلَيْهَا، واستدل به على أن الإيمان هو الإسلام إذ لو كان غيره لم يقبل. والجواب إنه ينفي قبول كل دين يغيّره لا قبول كل ما يغيّره، ولعل الدين أيضا للأعمال.

¹ (الكتب) في م وهو خطأ.

والانقياد، وأن كل دين سوى الإسلام غير مقبول عند الله، وأن صاحبه من الخاسرين في الآخرة. فقال: **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾**، فقله: ديناً، مفعول يتبع، وغير الإسلام حال منه، لأنه في الأصل صفة له، فلما قدم، انتصب حالاً، ويحتمل أن يكون تمييزاً لغير الإسلام؛ لما فيه من الإبهام، فميز كما ميز مثل وشبه وأخواتها، وأن يكون بدلاً من غير، وعلى هذين الوجهين، فغير الإسلام هو المفعول به، لقله: يبتغ، وقرئ: **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾**، بإدغام أحد المتجانسين في الآخر، إلا أن قراءة العامة الإظهار⁽¹⁾.

بناء على أن المثليين لم يلتقيا في الحقيقة؛ لوجود الفاصل بينهما، وهو الياء المحذوفة للجزم قوله، واستدل به على أن الإيمان هو الإسلام، مع أن ظاهر قوله -تعالى-: **﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾**، يقتضي كون الإيمان مغايراً للإسلام، فإن كون الإيمان عبارة عن التصديق المجرد، أو عنه مع الإقرار، ويكون الإسلام عبارة عن الأعمال، والانقياد الظاهري، ووجه الاستدلال، أنه لا شك أن الإيمان مقبول عند الله، فلو

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (85)

كان غير الإسلام، للزم أن لا يقبل بحكم هذه الآية، فثبت أنهما متحدان، وتقرير الجواب (أنا لا نمنع) أن كون الإيمان غير الإسلام يستلزم عدم قبوله، وإنما يستلزمه أن لو كان الإيمان ديناً -ولا نمنع ذلك، بناء على أن الإيمان هو التصديق الباطني، والدين هو الطاعة الظاهرة التي هي الأعمال- فإن منطوق الآية أن لا يقبل دين مغاير لدين الإسلام، ولا يلزم منه عدم قبول الإيمان، على تقدير كونه غير الإسلام، إلا إذا ثبت كونه ديناً، ولم يثبت لأن الدين هو الطاعة الظاهرة، والإيمان ليس بطاعة، بل هو مبدأ الطاعة.

ثم أنه -تعالى- لما عظم أمر الإسلام بقوله: **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾**، شرع في تعظيم أمر الإيمان، الذي هو مبدأ الإسلام، ويتوقف عليه صحته، بأن بين وعيد من ارتد عن الإيمان، فقال: **﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾** .

¹ . نهاية، ق 2، ص 62.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (86)

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ اسْتَبْعَادَ لِأَن يَهْدِيَهُمُ اللَّهُ فَإِنِ الْحَادِثُ عَنِ الْحَقِّ بَعْدَ مَا وَضَحَ لَهُ مِنْهُمْ فِي الضَّلَالِ بَعِيدٌ عَنِ الرَّشَادِ. وَقِيلَ نَفِي وَإِنْكَارَ لَهُ وَذَلِكَ...

وَاخْتَلَفَ فِي أَنَّ مَعْنَى الْاسْتَبْعَادِ بِكَيْفٍ، فِيهِ مَعْنَى هُوَ النَّفْيُ وَالْإِنْكَارُ، فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ}، أَيْ: لَا يَكُونُ لَهُمْ عَهْدٌ عِنْدَهُ، أَوْ مَعْنَاهُ: اسْتَبْعَادَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ -تَعَالَى- الْإِهْتِدَاءَ فِي قَوْمٍ مَعَانِدِينَ لِلْحَقِّ، رَاغِبِينَ عَنْهُ مَكَابِرَةً، وَأَتَهُمَا فِي الْغَوَايَةِ، فَإِنَّ عَادَةَ اللَّهِ -تَعَالَى- وَمَقْتَضَى حِكْمَتِهِ، أَنْ يَخْلُقَ الْإِهْتِدَاءَ، فِي قَوْمٍ طَالِبِينَ لِلْحَقِّ، رَاغِبِينَ فِيهِ، وَلَيْسَ فِي عَادَتِهِ، أَنْ يَهْدِيَ قَوْمًا، أَعْرَضُوا عَنِ الْحَقِّ بَعْدَ اتِّضَاحِهِ، وَقِيَامِ الْحُجُجِ الْوَاضِحَةِ الدَّالَّةِ عَلَى حَقِّيَّتِهِ، وَاخْتَارَ الْمَصْنُفُ كَوْنَهُ لِلْإِسْتَبْعَادِ، وَبَيَّنَّ فَسَادَ كَوْنِهِ لِلنَّفْيِ وَالْإِنْكَارِ بِقَوْلِهِ: "وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنْ لَا تَقْبَلَ تَوْبَةُ الْمُرْتَدِّ، مَعَ أَنَّهَا مَقْبُولَةٌ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ".

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (86)

يَقْتَضِي أَنْ لَا تَقْبَلَ تَوْبَةُ الْمُرْتَدِّ، وَشَهِدُوا عَطْفَ عَلَى مَا فِي إِيمَانِهِمْ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ وَنَظِيرِهِ فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ، أَوْ حَالِ بِإِضْمَارٍ قَدْ مِنْ كَفَرُوا وَهُوَ عَلَى الْوَجْهِينِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِقْرَارَ بِاللِّسَانِ خَارِجٌ عَنِ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ. وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْإِخْلَالَ بِالنَّظَرِ، وَوَضَعَ الْكُفْرَ مَوْضِعَ الْإِيمَانِ فَكَيْفَ مِنْ جَاءَهُ الْحَقُّ وَعَرَفَهُ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ.

قوله: "وشهدوا"، عطف على ما في إيمانهم، من معنى الفعل؛ لأنه بمعنى: أنه بعد أن آمنوا وشهدوا، أي: بعد أن صدّقوا بقلوبهم وأقرّوا بألسنتهم بأنّ الرسول حقّ، فإنّ يهود قريظة، والنضير، ومن دان بدينهم¹، كفروا بالنبيّ -صلى الله عليه وسلّم- بعد أن كانوا مؤمنين به قبل مبعثه، وكانوا يشهدون له بالنبوّة. فلما بعث وجاءهم البيّنات والمعجزات، كفروا به بغياً وحسداً، ولا يجوز عطفه على لفظ إيمانهم؛ لأنّ عطف الفعل على الاسم غير جائز؛ لذلك جعل معطوفاً عليه من حيث المعنى؛ ليكون من قبيل عطف الفعل⁽²⁾ على الفعل، ونظيره قوله -تعالى-: {لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنُّ}، فقد عطف أكن -وهو فعل مجزوم- على قوله أَصَّدَّقْتُ -وهو منصوب بإضمار أنّ بعد الفاء- فيكون في تقدير المصدر، وعطف الفعل على المصدر لا يجوز، إلاّ أنّه عطف عليه لكونه من قبيل عطف الفعل على الفعل من حيث المعنى، فإنّ قوله فَأَصَّدَّقْتُ -وإن كان في تأويل المصدر بإضمار إلاّ أن- فعل مجزوم من حيث المعنى، على أنّه جواب التحضيض، بناء على توهم سقوط الفاء، كأنه قيل: لولا أخرتني أَصَّدَّقْتُ وأكن.

¹ ها قول لابن عباس ورد في "تفسير الطبري" 3/ 341، "تفسير ابن أبي حاتم" 2/ 699، "زاد المسير" 1/ 418. وقد ورد في سبب نزولها -إضافة إلى ما ذكره المؤلف-: أن رجلاً من الأنصار، أسلم، ثم ارتدّ ولحق بالمشركين، ثم ندم فأرسل إلى قومه؛ ليسألوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، هل له من توبة؟ فلما سألوا الرسول -صلى الله عليه وسلم-، نزلت هذه الآية إلى قوله: {غَفُورٌ رَحِيمٌ}، فأرسل إليه فأسلم. وقد ورد هذا الأثر بسند صحيح عن ابن عباس -من رواية عكرمة عنه-، قد أخرجه: النسائي في سننه: 7/ 107. كتاب تحريم الدم. باب: (توبة المرتد)، وأخرجه -كذلك- النسائي في "تفسيره" 1/ 308. وأحمد في "المسند" 1/ 247، وابن حبان في "صحيحه" (انظر: "الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"): 10/ 329، (4477)، "موارد الظمان" 427، والحاكم في "المستدرک" 2/ 142، 4/ 366، وقال: (صحيح)، و وافقه الذهبي. وأخرجه البيهقي في "السنن" 8/ 197. والطبري في "تفسيره" 3/ 340، وابن أبي حاتم 2/ 699، والواحدي في "أسباب النزول" ص 116 - 117.

وقد ذكر مجاهد والسدي أن المرتد هو الحارث بن سويد. وعن عكرمة أنهم اثنا عشر رجلاً، منهم أبو عامر الراهب، والحارث بن سويد، وضخوخ بن الأسلت. وقيل: إنها نزلت في أهل الكتاب، عرفوا نعت النبي -صلى الله عليه وسلم- في كتبهم، ثم كفروا به بعد بعثته. وقد روي هذا عن ابن عباس والحسن.

انظر: "تفسير عبد الرزاق" 1/ 125، "تفسير الطبري" 3/ 340، "تفسير ابن أبي حاتم" 2/ 699، "أسباب النزول" للمؤلف (118)، "تفسير الحسن" 1/ 221، "الدر المنثور" 2/ 88.

ومما سبق تبين أن الأثر الأول في كونها نزلت في الحارث بن سويد أصح؛ ولذا يُقدّم ويُعتَمَد سبباً لنزول الآية، مع عموم حكمها لكل من عرف الحقّ وارتد عنه، ثم تاب ورجع إليه، فيدخل في حكمها أهل الكتاب الذين شهدوا بأنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- حق، ثم كفروا به بعد بعثته؛ حسداً منهم.

² . نهاية، ق 1، ص 63.

قال الشاعر¹:

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا ببين غرابها

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ (86)

قوله: فإنّ قوله ولا ناعب حقّه أن يكون منصوبا، بعطفه على مصلحين، لكنّه انجر فيه عطفاً على محله، فإنّه لكونه خبر ليس في محل الجر؛ لكثرة دخول الباء الجارة في خبرها، فتوهم وجود الباء فيه كأنه قيل ليسوا بمصلحين ولا ناعب، وعشيرة الرّجل بنو الأدنون، ونعب الغراب، أي صاح يقول هم مشائيم لا يصلحون حال قبيلة، ولا تتعب غراب أبيه قبيلتهم إلا بالبين والفرار.

قوله: أو حال معطوف على قوله: على ما في إيمانهم، من معنى الفعل، أي: ويجوز أن يكون الواو في قوله: وشهدوا، للحال بإضمار قد، والتقدير: كيف يهدي الله قوما كفروا بعد

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (86)﴾

إيمانهم، وشهدوا أنّ الرسول حقّ؟ قوله: وعلى الوجهين دليل، يعني أنّ قوله وشهدوا -سواء جعل عطفاً أو حالاً- يدلّ على أنّ الإقرار باللسان، خارج عن حقيقة الإيمان، إما على الأول، فلأنّ تقدير الآية: (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ)، وبعد الشّهادة بأنّ الرسول حقّ، وبعد أن جاءهم البيّنات، فعطف الشّهادة بأنّ الرسول حقّ على الإيمان، يستلزم أن تكون الشّهادة بحقية الرسول مغاير الإيمان، ضرورة أنّ المعطوف مغاير المعطوف عليه.

وأما على القاعدة أعلاه التقدير في² كيف يهدي الله قوما كفروا بعد الايمان حال ما شهدوا بأنّ الرسول حقّ بتقييد كفرهم الواقع بعد الايمان بكونه مقرونا بالاقرار باللسان ، فكم أن الكفر الواقع بعد الايمان مغايرا للايمان، فكذا ما هو قيد³ للكفر مغاير له أيضا فصارت الآية دليلا على مذهبنا من أنّ الايمان هو التصديق بالقلب ولا شك أن المعنى القائم بالقلب مغاير للاقرار باللسان.

¹ البيت للفرزدق، وهو في الكتاب لسبويه (29 / 3)، الخصائص (2 / 354).

² (في) ساقطة من ف.

³ (ما هو قيد) ساقطة من ف ور.

قوله " الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ¹" إشارة الى أن قوله تعالى " والله لا يهدي القوم الظالمين ليس تكرير لقوله "كيف يهدي الله قوما " بناء على أن قوله: "كيف يهدي الله" مختص

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (86)

بالمرتدين²، قوله " وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " عام يتناول المرتد والكافر الأصلي بل هو مختص بالكافر الأصلي أورد تعليلاً لما ذكر في حق المرتد من استبعاد هداية الله عز وجل إياه وإن قيل ظاهر الآية يدل على أن من كفر بعد إسلامه لا يهديه الله، ومن كان ظالماً لا يهديه الله، وقد رأينا الكثير من المرتدين أسلموا، وهداهم الله، وكثيراً من الظالمين تابوا عن الظلم ، أوجب بأن المعنى أنه عز وجل لا يهديهم ما داموا مقيمين على الرغبة في الكفر، وفي الثبات عليه ، ولا يقبلون على الإسلام، وأما اذا تحروا إصابة الحق والاهتداء بالأدلة المنصوبة فحينئذ : يهديهم الله بخلق الاهتداء فيهم. قوله: وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم لأن تقديم خبر إن وهو (عليهم) على اسمها يفيد الحصر المشتمل على حكمين أحدهما: منطوق حكمه³، وهو ثبوت لعن الله تعالى، ولعن الملائكة، والناس عليهم، وثانها: مفهوم وهو عدم ثبوته لغيرهم، وبين المصنّف وجه الفرق بين المرتدين وغيرهم، حتى جاز لعن الأولين دون غيرهم، ولعنة الله على من يستحق عبارته عن طرده، وابعاده من رحمته وجنته، وتعذيبه بما يستحق من القهر والعقاب ولعنة الملائكة والناس عبارة عن الدعاء بها بالقول⁴.

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (87)﴾

أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ يدل بمنطوقه على جواز لعنهم، وبمفهومه على نفي جواز لعن غيرهم. ولعل الفرق أنهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مؤيدون عن الرحمة رأساً بخلاف غيرهم، والمراد بالناس المؤمنون أو العموم فإن الكافر أيضاً يلعن منكر الحق

¹ مقطع من الآية 45 من سورة إبراهيم، وتمام الآية: وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ (45).

² (مختص بالمرتدين) ساقطة من ف.

³ (حكمه) مضافة في ف وم.

⁴ (القبول) في النسخة ف.

والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه. **خَالِدِينَ** فيها في اللعنة، أو العقوبة، أو النار وإن لم يجز ذكرهما لدلالة الكلام عليهما. **لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ... قوله: والمراد بالناس المؤمنون** إذ لو حمل على العموم كما هو الأصل في الجموع وأسمائها المحلى باللام لزم أن يلعن كل واحد جميع من يوافقهم، ولا وجه لأن يلعن الانسان من يوافقه، ويحتمل أن يراد به جميع الناس لأن جميع الناس يلعنون المبطل والكافر، ولكن اللاعن يعتقد في نفسه أنه ليس بمبطل ولا بكافر فاذا لعن الكافر، وكان هو في علم الله تعالى كافرا فقد لعن نفسه وهو لا يعلم ذلك.

قوله تعالى " خالدين " حال من الضمير في عليهم¹، والعامل معنى الاستمرار الذي تعلق بكلمة على، وضمير فيها يرجع الى اللعنة، ومعنى خلودهم في اللعنة: أنهم يوم القيامة لا يزالون يلعنهم الله² والملائكة والمؤمنون ومن معهم في النار ، قال تعالى " كلما دخلت أمة لعنت أختها "³ وقال " ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض"⁴، ولا يخلو شيء من أحوالهم من اللعنة، ويجوز أن يكون المراد بالخلود في اللعن الخلود في أثر اللعن، وهو البعد عن

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (89)﴾

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أي من بعد الارتداد. **وَأَصْلَحُوا مَا أَفْسَدُوا**، ويجوز أن لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح. **فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ** يقبل توبته. **رَحِيمٌ** يتفضل عليه. قيل: إنها نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على رده فأرسل إلى قومه أن سلوا هل لي من توبة، فأرسل إليه أخوه الجلاس بالآية فرجع إلى المدينة فتاب.

الرحمة والخلود في العذاب، ومعنى الأنظار في قوله تعالى " ولا هم ينظرون " التأجيل في تعذيبهم بأن يؤخر عذابهم من وقت الى وقت آخر **فَإِنَّ عَذَابَ الْكُفَّارِ دَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ**⁵.

¹أنظر: (المشكل) لمكي 169\1، العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله، التبيان في إعراب القرآن، 279\1، عيسى البابي الحلبي وشركاه، تحقيق: علي محمد البجاوي.

²لفظ الجلالة مضافة في ف.

³سورة الأعراف: الآية

⁴ سورة العنكبوت: الآية 25.

⁵ الإنظار لغة: التأخير والإمهال. يقال: (أنظرته، أنظره). أنظر: السجستاني، نزهة القلوب:72، ابن منظور، لسان العرب، 4467\7.

قوله " واصلحوا ما أفسدوا " عطف على قوله: **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا** يدل على أن التَّوْبَةَ وحدها لا يترتب عليها ما ذكر من المغفرة والرحمة، بل لابد من أن ينضم إليها العمل الصالح فإنَّ من تاب وندم على ما مضى من ارتداده، وعزم على تركه في المستقبل، وإن غفر له ما مضى من ذنبه **إِلَّا أَنَّهُ** لا يستحق لأن يرحم، ويفضل عليه بثواب الآخرة **إِلَّا** بأن يصلح ما أفسده على نفسه بتضييع ما كلف به من الطاعات.

قيل¹: **نزلت الآية في رهط كانوا أسلموا، ثم رجعوا عن الإسلام، ولحقوا بمكة ثم أن أحدهم وهو الحارث بن سويد لما لحق بالكفار ندم، وأرسل الى قومه أن سلوا رسول الله _صلى**

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (90)﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا كاليهود كفروا بعبسى والإنجيل بعد الإيمان بموسى والتوراة، ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن، أو كفروا بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفراً بالإصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الإيمان ونقض الميثاق، أو كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفراً بقولهم نترصب بمحمد ريب المنون أو نرجع إليه ونناققه بإظهاره. لَنْ نَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ لأنهم لا يتوبون، الله عليه وسلم_ هل لي من توبة ؟ ففعلوا فأنزل الله تعالى قوله" الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم " فأرسل إليه أخوه الجلاس بالآية وحملها إليه رجل من قومه وقرأها عليه فقال الحارث " والله إنك فيما علمت لصدوق وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصدق منك، وإن الله تعالى لأصدق الثلاثة، فرجع الحارث الى المدينة وتاب وحسن إسلامه.

¹ أورد ابن كثير عن ابن عباس -من رواية الكلبي- أن سبب نزول الآية، هو: أن قومًا أسلموا ثم ارتدوا عن الإسلام، فأرسلوا إلى قومهم يسألون إن كان لهم من توبة، فذكروا ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فنزلت هذه الآية ونسب ابن كثير إخراجَه إلى البزار -مسندًا-، وقال: (هكذا رواه، وإسناده جيد). علي محمد البجاوي كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم ، 408\1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، تحقيق: محمد حسين شمس الدين.

وعقب السيوطي على هذه الرواية حيث قال -بعد أن أورد هذه الرواية عن البزار-: (هذا خطأ من البزار)؛ وذلك أن ابن عباس ورد عنه بنفس السند الذي عند البزار: أن هذا كان سببًا لنزول قوله -تعالى-: {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا} آية: 86. وورد عن الحسن أنها نزلت في اليهود والنصارى؛ كفروا بعد إيمانهم. ثم ازدادوا كفراً بذنوب عملوها، ثم يتوبون من تلك الذنوب بعد كفرهم.

انظر: "الطبراني ، تفسير القرآن الكبير" 3 / 701، " الواحدي، علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن ، ص 118، ط الثانية، 1412 هـ - 1992 م، دار الإصلاح - الدمام ، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان.

قوله **لَأَنَّهُمْ لَا يَتُوبُونَ** جواب عما يقال قد علم بآيات كثيرة أنه تعالى غافر الذنب قابل التوب، يقبل التوبة من عباده منها ما سبق آنفا من قوله: **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ**

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (90)﴾

أو لا يتوبون إلا إذا أشرفوا على الهلاك فكفي عن عدم توبتهم بعدم قبولها **تغليظاً** في شأنهم وإبرازاً لحالهم في صورة حال الأيسين من الرحمة، أو لأن توبتهم لا تكون إلا نفاقاً لارتدادهم وزيادة كفرهم، ولذلك لم تدخل الغاء فيه.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ الثَّابِتُونَ عَلَى الضَّلَالِ﴾

غفور رحيم، فإنه صرح في أن المرتد تقبل توبته، وإن ازداد كفراً، فما معنى¹ قوله تعالى: "لن تقبل توبتهم"؟

وتقرير الجواب: أن قوله لن تقبل توبتهم كناية عن عدم توبتهم أصلاً، أو عن عدمها في الوقت الذي تقبل فيها التوبة، أو عن عدم وقوعها إخلاصاً، فإن عدم قبولها لازم لعدم وقوعها أصلاً، ولعدم وقوعها في وقتها، ولعدم وقوعها عن إخلاص ضرورة أن قبول التوبة فرع وجودها في نفسها فرع وقوعها عن إخلاص لأن ما وقع عن نفاق ليس بتوبة؛ لأن توبة المرتد إنما هي رجوعه عن الكفر إلى الإيمان والمنافق لا إيمان² له ولا تصديق. وفرع³ وقوعها في وقتها لقوله تعالى: **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ**⁴ فهذه الأمور كلها ملزومات لعدم قبول التوبة، فقوله تعالى "لن تقبل توبتهم" كناية عنها على طريق ذكر اللازم، وإرادة الملزوم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (90)﴾

قوله: **تغليظاً** في شأنهم علة لإتيان طريق الكناية على سلوك طريق التصريح بذكر الملزوم، وهو أن لا يتوبوا أصلاً، أولاً يتوبوا في الوقت الذي تقبل فيه التوبة، والمعنى: أنه كنى عن هذا الملزوم بذكر

¹ فما معنى ساقطة من ف

² والمنافق لا إيمان ساقطة من ف.

³ وفرع ساقطة من ف

⁴ مقطع من الآية: 18 من سورة النساء.

لازمه الذي هو عدم قبول التوبة تغليظاً لهم، فإنّ عدم قبولها إقنات لهم عن رحمة الله، فبيان حالهم بأنهم لن تقبل توبتهم ابراز لهم في صورة الآيسين من رحمة الله، ولا حال أفضع منه فهو أغلظ عليهم من أن يقال في حقهم أنهم لا يوفقون للتوبة، أو يتوبون إذا أقبلوا على الموت، ويموتون وهم كفار فلذلك عدل عنه الى طريق الكناية.

قوله: ولذلك: أي ولكون قوله: لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وأراد على سبيل الكناية لم تدخل الفاء فيه كدخولها في قوله "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا"¹، فإنه لو دخلت الفاء في قوله: "لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ" وهو كناية عن عدم توبتهم أصلاً، أو عن عدمها في وقتها، لفهم كون كفرهم وازديادهم الكفر سبباً لعدم التوبة وليس كذلك؛ لأن كم من مرتد يزداد الكفر ثم يتوب عن ارتداده الى الاسلام ولا يموت على الكفر، بخلاف قوله تعالى: "فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا" فإنّ الموت على الكفر سبب لامتناع قبول الفدية، فدخلت الفاء هناك إيذاناً السببية المبتدأ لخبره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (90)﴾

قوله: الثابتون على الضلال إشارة الى أن الحصر المستفاد من قوله: "هم الضالون" من قبيل حصر الكمال، وإلا فكل كافر ضال، سواء كفر بعد الإيمان، أو كان كافراً من الأصل، ومن كمالهم في الضلال ثباتهم على الضلال، وعدم كون الاهتداء متوقعا منهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (90)﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا لما كان الموت على الكفر سبباً لامتناع قبول الفدية أدخل الفاء ها هنا للإشعار به، وملء الشيء ما يملؤه. وذهباً نصب على التمييز. وقرئ بالرفع على البدل من مِلءٍ أو الخبر لمحذوف.

وَلَوْ افْتَدَى بِهِ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَعْنَى... قوله: " قرئ ذهب بالرفع

على أنّ بدل من ملء الأرض بدل نكرة من معرفة، وذكر في النحو أنّ النكرة إذا أبدلت من المعرفة بدل الكل من الكل يجب نعت تلك النكرة، كما في قوله تعالى " بِالنَّاصِيَةِ (15) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ² لئلا يكون المقصود بالنسبة أنقص في الدلالة على الذات المرادة كما هو توطئة لذكره، وجوز أبوعلّي

¹ مقطع من الآية: 91 من سورة آل عمران.

² مقطع من سورة العلق، وتمام الآيات: (كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهَ لَسَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (15) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16))

الفارسي¹ أن يترك وصف النكرة المبدلة من المعرفة إذا استفيد من البديل ما لا يستفاد من المبدل منه²، كالذهب فإنه لكونه أنفس جواهر الأرض يستفاد منه ما لا يستفاد من قوله: **ملء الأرض**.

قوله: محمول على جواب المعنى عما يقال ظاهر النظم يوهم أن يكون الغرض المسوق له الكلام عدم قبول ملء الأرض على البت، افتدى به أولم يفند، ومعلوم أن

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَأُوا كُفْرًا لَنْ نَقْبَلَ تَوْبَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّالُونَ (90)

كأنه قيل: فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً، أو معطوف على مضمرة تقديره فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة، أو المراد ولو افتدى ..

الغرض عدم قبول الفدية، وإن كان ملء الأرض ذهباً، وتوضيح الإشكال أن مثل هذه الواو إنما يؤتى بها حيث يراد تحقيق الحكم السابق على تقديري الشرط أو عدمه، حتى ذهب بعضهم إلى أنها للعطف على محذوف هو نقيض الشرط المذكور، أي لو لم تقبده ولو افتدى به، والمقصود هنا عدم قبول الفدية سواء كانت قدر ما يملأ الأرض، أو لم تكن، فمقتضى الظاهر أن يقال لا تقبل فدية ولو كانت ملء الأرض، أو لا تقبل ملء الأرض لو³ افتدى به بدون الواو، وتقرير الجواب الأول أن عدم قبول ملء الأرض كناية عن عدم قبول فدية ما عدل عن التصريح إلى الكناية تصوير للتكثير، لأن ملء الأرض غاية الكثرة في العرف، وضمير به استخدام حيث أريد به قدر ما يملأ الأرض حقيقة، وقد أريد بالاسم الظاهر ما يلزم ذلك القدر، وهو الكثرة مطلقاً، فالمعنى لن تقبل منه فدية كثيرة، ولو افتدى ملء الأرض ذهباً، بالغ به في قدر ما لا يقبل من الفدية كما وكيفا. وتقدير الجواب الثاني: أن

¹ أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي؛ ولد بمدينة فسا واشتغل ببغداد، ودخل إليها سنة سبع وثلثمائة، وكان إمام وقته في علم النحو، ودار البلاذ، ومن تصانيفه كتاب " التنكرة " وهو كبير، وكتاب " المقصور والممدود "، وكتاب " الحجة " في القراءات، وتوفي يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر، وقيل ربيع الأول، سنة سبع وسبعين وثلثمائة رحمه الله تعالى ببغداد، ودفن بالشونيزي. البرمكي، أبو العباس شمس الدين أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 82\2، ط0، 1900، دار صادر - بيروت، تحقيق: إحسان عباس.

² أنظر: الفارسي، الحسن بن أحمد، الحجة للقراء السبعة، 145\1، ط الثانية، 1413 هـ - 1993م، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجاني.

³ لو ساقطة من النسخة ف وم.

قوله فلن يقبل من أحد منهم ملء الأرض ذهباً، ليس المراد منها أنه لو فدى نفسه من عذاب الله - تعالى - يوم القيامة لن تقبل منه ذلك، بل المراد أن من مات على الكفر إذا كان¹ تصدق في الدنيا بملء الأرض ذهباً لن يقبل الله - تعالى - ذلك منه، لأن طاعة الكافر لا تقبل، قوله: "ولو افتدى به" ليس من قبيل² الشرط

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (90)﴾

بمثله كقوله تعالى: وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ وَالْمِثْلَ يَحذف ويراد كثيراً لأن المثلين في حكم شيء واحد أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مبالغة في التحذير وإقنات لأن من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكراً وما لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق. الذي يقصد به تأكيد الحكم السابق، بل هو شرط معطوف على شرط محذوف قبله، والتقدير ما ذكره المصنف بقوله: "فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا" لو تقرب به في الدنيا، ولو افتدى به من العذاب في الآخرة، قال الواحدي³: (نقلًا عن الزجاج أن المعنى لو قدم ملء الأرض ذهباً يتقرب به إلى الله لم ينفعه ذلك مع كفره، ولو افتدى من عذاب الله بملء الأرض ذهباً لم يقبل منه⁴).

وتقرير الجواب الثالث: أن النظم إنما يوهم خلاف المقصود أن لو حُمل على ظاهره، وليس بواجب لجواز أن يقدر المثل، ويقال: أن لو افتدى بمثله معه، وهذا الشرط أكد الحكم السابق على وجه لا يدل على خلاف المقصود، وقد شاع حذف لفظ المثل في الكلام وزيادته، أما حذفه ففي نحو قولك ضربته ضرب زيد أي: مثل ضربيه، وقول معاوية: إذا استقبله أمر لا يقوم بكفايته، قضيته ولا أبا حسن لها، أي: ولا مثل أبي حسن يريد بابي حسن علي بن ابي طالب فإنه رضي الله عنه - كان مشهوراً بالقضاء، روى

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)

¹ كان ساقطة من النسخة ف ور.

² من قبيل ساقطة من النسخة ف

³ علي بن أحمد بن محمد بن علي بن منقوية، أبو الحسن الواحدي، مفسر، عالم بالأدب، نعتة الذهبي بإمام علماء التأويل، ومولده ووفاته بنيسابور. له " البسيط والوسيط والوجيز " كلها في التفسير، وكتاب أسباب النزول. توفي عام 468 هـ.

⁴ الواحدي، علي بن أحمد، التفسير البسيط، 422\5، ط الأولى، 1430 هـ، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وأما كلام الزجاج فانظر: الزجاج، معاني القرآن، 441\1.

لَنْ تَتَّالُوا الْبِرَّ أَي لَنْ تَبْلُغُوا حَقِيقَةَ الْبِرِّ الَّذِي هُوَ كَمَالُ الْخَيْرِ، أَوْ لَنْ تَتَّالُوا بِرَ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الرَّحْمَةُ وَالرِّضَى وَالْجَنَّةَ. حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ أَي مِنَ الْمَالِ، أَوْ مَا يَعْمَهُ وَغَيْرِهِ كَبُذْلِ الْجَاهِ فِي مَعَاوَنَةِ النَّاسِ، وَالْبَدَنِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَالْمَهْجَةِ فِي سَبِيلِهِ.

البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه _ أنه قال: " أقرؤنا أبي وأفضانا عليّ - رضي الله تعالى عنه -¹.

وأما زيادة مثل ففي نحو قولهم: مثلك لا يفعل كذا، والمراد أنت لا تفعل، فإن قيل: نفي الافتداء يوهم أنّ الكافر يملك يوم القيامة من الذهب ما يفندي به، وهو لا يملك فيه نقيرا ولا قظميرا فضلا عن أن يملك² ملء الارض ذهبا.

والجواب أنّ الكلام واردٌ على سبيل العرض، والتقدير: تصوير الهول يوم الحساب، وبياننا لكون الكافر آيسا من تخلص نفسه من العقاب.

ثم إنّه تعالى لما بين أنّ الإنفاق لا ينفع الكافر البتّة، بيّن للمؤمن كيفية الإنفاق الذي يبغون في الآخرة فقال: " لَنْ تَتَّالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ " فظهر به أنّ من أنفق ما أحبه كان من جملة الأبرار.

﴿لَنْ تَتَّالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)﴾

روي (أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال: يا رسول الله إن أحب أموالي إلي بيرحاء فضعها حيث أراك الله، فقال: بخ بخ ذلك مال رابح أو رائج، وإنني أرى أن تجعلها في الأقربين. وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال: هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد فقال: زيد إنما أردت أن أتصدق بها فقال عليه السلام: إن الله قد قبلها منك).

قوله: أي لن تبلغوا حقيقة البر، على أن يكون تعريف البر للإشارة الى حقيقة البر المتناولة لبرّ الله لعباده، وبرّ العبد في حق نفسه وغيره، ومعنى النيل الى حقيقة البر الاتّصاف بها والكون باراً³.

¹ مقطع من حديث رواه البخاري، وتام الحديث: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " أَقْرَأْنَا أَبِي، وَأَفْضَانَا عَلِيًّا، وَإِنَّا لَنَدْعُ مِنْ قَوْلِ أَبِي، وَذَلِكَ أَنَّ أَبِيًّا يَقُولُ: لَا أَدْعُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ". وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَمَّا نَسَخْنَا مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسَّيْنَاهَا﴾ [البقرة: 106]. البخاري، صحيح البخاري، 19٨6.

² من (فإن قيل أن يملك) ساقطة من ف.

³ تنوعت أقوال المفسرين في تفسير البر، قال عطاء ومقاتل: البرُّ: التقوى، في هذه الآية. وقال أبو زوق: الخير، ورؤي عن ابن عباس، ومجاهد، والسدي، أنهم قالوا: [البرُّ] المرادُ به ههنا: الجنة. وقال بعض أهل المعاني: معنى

قوله: ولن تنالوا بر الله على أن يكون التعريف اللامي عوضا عن التعريف الإضافي فيراد نوع من جنس البرّ، وهو برُّ الله وإحسانه الى عباده، وجعل نيّله موقوفا على إنفاق العبد مما يحبه من المال، أو ما يعمه للإشارة الى أن إنفاقه أعظم ما يتوسّل به إليه.

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)﴾

أو ذلك يدل على أن إنفاق أحب الأموال على أقرب الأقارب أفضل، وأن الآية تعم الإنفاق الواجب والمستحب. وقرئ «بعض ما تحبون» وهو يدل على أن من للتبعيض ويحتمل التبيين. وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ أَي من أي شيء محبوب أو غيره ومن لبيان ما. فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ فيجازيكم بحسبه.

قوله: بئرُ حاء روي بفتح الباء وكسرها، ويفتح الراء وضمها، وبالمد والقصر، وروي بئر ماء بإضافة بئر الى حاء اسم قبيلة كبئر رومة، وبئر بضاعة، وقيل: إنه تصحيف صحفها أهل الحديث، وأنّ وزنه فيعلى، وقال في المغرب: أنها بستان لأبي طلحة بالمدينة مستقبل مسجد النبي (عليه الصلاة والسلام)، كان (عليه الصلاة السلام) يدخل فيه ويشرب من مائه الطيب، وقوله: بخ بخ كلمة مدح مبنية على السكون، وقد يكسر وينون، فيقال: بخ بخ، وكررت للمبالغة.

قوله: مال رابع أي ذو ربح ونفع، أو رائج أي بروج نفعه لقربه من البلد، أو رائح أي يروح نفعه ويعود إليك نفعه، وثوابه أو قريب المسافة يروح خيره الى صاحبه، ويجيء هو اليه سريعا، ويذهب متى شاء، روي أن ابا طلحة جعلها بين حسان بن ثابت وأبي بن كعب رضي الله عنهما كذا رواه مسلم.

قوله: أسامة بن زيد هذا هو زيد بن حارثة صاحب الفرس المذكور فلما وهب (عليه السلام) ذلك الفرس ابنه اسامة شق ذلك زيدا على ظن أن صدقته لم تقبل، فقال: أردت أن أتصدق به، فقال عليه السلام: إنّ الله عز وجل قد قبلها منك. روى أنّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان مريضا فاشتهدى عنبا، وكان ذلك في الشتاء، فخرج بنوه واشتروا له

الآية: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالثَّوَابِ فِي الْجَنَّةِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: كُلُّ شَيْءٍ أَنْفَقَهُ الْمُسْلِمُ مِنْ مَالِهِ؛ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ مِنَ الَّذِي عَنَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، حَتَّى الثَّمَرَةِ. أَنْظَر: الثَّلَبِيُّ، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، الْكَشْفُ وَالْبَيَانُ عَنِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، 71\3، ط الأولى 1422، هـ - 2002 م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، 240\1، ط الأولى - 1422 هـ، دار الكتاب العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرحمن بن علي. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، 133\4، ط الثانية، 1384 هـ - 1964 م، دار الكتب المصرية - القاهرة، تحقيق: أحمد البردوني. وإبراهيم أطفيش.

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)﴾

قوله: وهو يدل على أن من في قوله مما تحبون للتبعض، وأنه تعالى لم يشترط إنفاق الكل تيسيرا للعباد. قال القشيري¹: (من أراد البر فلينفق بعض ما يحبه، ومن أراد البري تعالى فلينفق جميع ما يحبه)².

قوله: ويحتمل التبيين، فالمعنى: لن تنالوا البر إلا أن تنفقوا الشيء الذي تحبونه، ودلت الآية على أنه لا بأس بمحبة شيء من الدنيا إذا لم يقدمه على محبة الدين، ولم يؤثر العاجل على الآجل،

عنقودا بدرهم، فلما أتى به أخذ منه حبة، فإذا سائل يسأل، فأعاد الحبة في موضعها، ثم قال: يا سالم ناوله العنقود إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "خير الصدقة ما كان على شهوتها"³ فناوله سالم ثم اشتراه بدرهم، وجاء به إليه، وقال: كل شهوتك فإذا سائل فأعاد ما أخذ منها من الحبة الى موضعها، وفعل كالأول، وكان الأمر كذلك ثلاث مرات، ومات عبد الله بشهوته رضي الله عنه⁴.

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)﴾

قوله: الى أي شيء إشارة الى أن كلمة ما شرطية.

¹ الإمام، الزاهد، القدوة، الأستاذ، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري، الخراساني، النيسابوري، الشافعي، الصوفي، المفسر، صاحب (الرسالة). وُلِدَ: سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، تُوَفِّيَ الْأُسْتَاذَ أَبُو الْقَاسِمِ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْأَحَدِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ، سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، 232/18، ط الثالثة، 1405 هـ / 1985 م، مؤسسة الرسالة، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط.

² أنظر: القشيري، عبد الكريم بن هوازن، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، 258\1، ط الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، تحقيق: إبراهيم البسيوني.

³ لم أجده في كتب السنة.

⁴ وردت هذه الحادثة في كتاب السنن الكبرى للبيهقي لكن باختلاف يسير في الألفاظ، ولم يرد حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) فيها، ولم أجده في أي كتاب من كتب السنة، فاكتفيت بذكر الرواية وتوثيقها. تمام الرواية: عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: مَرِضَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَشْتَهَى عِنَبًا أَوَّلَ مَا جَاءَ الْعِنَبُ فَأَرْسَلَتْ صَفِيَّةُ بِدِرْهَمٍ فَأَشْتَرَتْ عَنْقُودًا بِدِرْهَمٍ، فَاتَّبَعَ [ص:311] الرَّسُولَ سَائِلٌ، فَلَمَّا أَتَى الْبَابَ دَخَلَ، قَالَ السَّائِلُ: السَّائِلُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: "أَعْطُوهُ إِيَّاهُ"، فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ أَرْسَلَتْ بِدِرْهَمٍ آخَرَ فَأَشْتَرَتْ بِهِ عَنْقُودًا، فَاتَّبَعَ الرَّسُولَ السَّائِلُ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْبَابِ وَدَخَلَ قَالَ السَّائِلُ: السَّائِلُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: "أَعْطُوهُ إِيَّاهُ"، فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ، وَأَرْسَلَتْ صَفِيَّةُ إِلَى السَّائِلِ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَئِنْ عُدْتُ لَا نُصِيبَنَّ مِثِّي خَيْرًا أَبَدًا، ثُمَّ أَرْسَلَتْ بِدِرْهَمٍ آخَرَ، فَأَشْتَرَتْ بِهِ. أنظر: البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، 311\3، ط الثالثة، 1424 هـ - 2003 م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

وقوله: فإن الله به عليم جواب الشرط جعل علمه تعالى بذلك جواباً للشرط مع أنّ علمه تعالى غير مشروط بشيء، بناء على أنّ علمه تعالى بذلك الانفاق جعل كناية عن إعطاء الثواب، ويجوز تعليق الانابة بالعمل.

ثم إنّه تعالى لما ذكر قبائح أهل الكتاب، وشدة مخالفتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من جملة مطاعن اليهود له _ عليه السلام _ أنهم قالوا له _ عليه السلام _: إنك تدعي أنك على ملة إبراهيم! فكيف تأكل لحوم الإبل وألبانها؟ مع أنّ ذلك كان حراماً في دين إبراهيم عليه السلام، فلست أنت على ملته فجعلوا ذلك شبهة قاذحة في صحة دعواه _ عليه السلام _؛ أنه على ملة إبراهيم _ عليه السلام _، فأنزل الله تعالى: كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة¹.

أبطل بذلك شبهتهم حيث بيّن أنّ المطعومات كلها من لحوم الإبل وألبانها، وغير ذلك كان حلالاً في شريعة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، إلا أنّ يعقوب حرم من ذلك على

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)﴾

نفسه الإبل وألبانها لسبب، وبقيت حرمتها في حق أولاده بعده فإنما في استحلال تناولها نتبع ملة إبراهيم، فأنكر اليهود ذلك، وقالوا: كل ما نحرمه اليوم فحرّمه شرع قديم من لدن آدم ونوح وإبراهيم حتى انتهت حرمتها الينا، وأنكروا كونها مباحة في الأصل، ثم حرمت بعد

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93)﴾

ذلك لأنّه يقتضي وقوع النسخ في الشرائع والأحكام، وهم لا يقولون به، بل يقولون كل ما نحرّمه اليوم لم يحرم منه شيء بنزول التوراة، كل ذلك كان حراماً من زمن نوح عليه كُـلُّ الطَّعَامِ أي المطعومات والمراد أكلها. كَانَ حَلَالاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ حلالاً لهم، وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى: لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ. إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ يَعْقُوبَ. عَلَى نَفْسِهِ كَلْحَوْمِ الْإِبِلِ

¹ الواحدي، علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن، 115، ط الثانية، 1412 هـ - 1992 م، دار الإصلاح - الدمام، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان. العسقلاني، أحمد بن علي، العجائب في بيان الأسباب، 7142-716، دار ابن الجوزي، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس.

والبانها. وقيل كان به عرق النسا فنذر إن شفي لم يأكل أحب الطعام إليه وكان ذلك أحبه إليه. وقيل: فعل ذلك للتداوي بإشارة الأطباء. واحتج به من جوز للنبي أن يجتهد،

السلام، فلما ادعوا أن حرمة ما يحرمون شرع قديم، وكذبهم الله تعالى بإنزال قوله: "كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ"، غير طعام واحد حرمه يعقوب على نفسه، فإن حرمة بقيت في حق أبنائه، وأما ما عدا ذلك الطعام الواحد فإن تناوله كان حلالا الى أن نزل التوراة ثم حرمت منها ما حرم بنزول التوراة، بسبب ظلم كان من الذين هادوا، فإن بني اسرائيل اذا أصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم بذلك طعاما طيبا.

وذلك قوله تعالى: **فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ، وَحَرَمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِنَزُولِ التَّوْرَةِ،** وكان حلالا قبل نزولها، فلما نزلت هذه الآية أمرهم النبي عليه السلام بإحضار التوراة، وطالبهم بأن يستخرجوا آية منها تدل على أن لحوم الابل والبانها كانت محرمة على ابراهيم فعجزوا عن ذلك، وافتضحوا فظهر كذبهم.

قوله: **أي المطعومات** لما كان المجموع وأسمائها المحلاة باللام للعموم، لا عهد بدليل صحة الاستثناء عنها، وتأكيدها بما يفيد العموم كقوله تعالى: **"فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ**

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (93)

وللمانع أن يقول ذلك بإذن من الله فيه فهو كتحريمه ابتداء. من قبل أن تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ أي من قبل إنزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديداً، وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة مما نعى عليهم في قوله تعالى: **فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ وَقَوْلِهِ: وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ الْآيَتِينَ،**

أَجْمَعُونَ"¹ بخلاف المفرد المحلى بها فإنه لا يفيد العموم إلا عند قيام دليل على إرادة العموم، حمل المصنّف لفظ الطعام في الآية على العموم كما يحمل لفظ المطعومات عليه لكونه جمعا محلى باللام، لقيام ما يدل على العموم، وهو أن لفظ الطعام أسم لكل ما يؤكل ويطعم، اذا لم يحمل على العموم وأضيف كلمة كل كانت كلمة كل للإحاطة بأجزاء المطعوم.

¹ الآية 30 من سورة الحجر.

فاذا قلت: أكلت كل الخبز كان المعنى أكلته بجميع أجزائه، وليس المقصود في الآية الدلالة على عموم الأجزاء بل القصد فيها الى عموم افراد المطعم، فلما كان المقام شاهداً، ودليلاً على إرادة العموم. فسمى الطعام بالمطعمومات فإنه لكونه جميعاً محلي باللام يفيد العموم. قوله: قيل كان به عرق النساء وهو وجع يبتدأ من الورك من خلف وينزل الى الركبة، وربما يبلغ الكعب، ولما ابتلى بذلك المرض لقي بذلك بلاء وشدة، وكان لا ينام الليل من الوجع، فحلف لئن شفاه الله لا يأكل أحب الطعام اليه تقبل الله، وشكرا الاحسان، وكان لحوم الابل وألبانها أحب المطعمومات إليه، فحرمها على نفسه فحرمها على بنيه لذلك¹.

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93)﴾

بأن قالوا لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعده حتى انتهى الأمر إلينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا، وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول عليه السلام موافقة إبراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الإبل وألبانها. قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أمر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من أنه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرماً.

روي: أنه عليه السلام لما قاله لهم بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة. وفيه دليل على نبوته. وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال: أن يعقوب عليه السلام لما اصابه عرق النساء وصف له الأطباء أن تجنب² لحم الإبل فحرمها يعقوب على نفسه للتداوي بإشارة الاطباء لا لمحض التعبد³.

قوله: واحتج به من جوز للنبي _ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ أن يجتهد. وجه الاحتجاج: أن قوله تعالى إلا ما حرم اسرائيل على نفسه يدل على أنه حرمه على نفسه بالاجتهاد، إذ لو حرمه بالنص لقال الامام⁴ الا ما حرمه الله على إسرائيل، والاجتهاد كما يجوز من الأمة يجوز من الأنبياء

¹ وردت هذه الرواية عن شهر بن شوحب في المسند وتفسير الطبري والطيالسي وابن أبي حاتم والطبراني. الطبري، التفسير الكبير، 15\6. ابن أبي حاتم، التفسير، 704\3. الطيالسي، سليمان بن داود، مسند أبي داود الطيالسي، 450\4، ط الأولى، 1419 هـ - 1999 م، دار هجر - مصر، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي.

² أن تجنب ساقطة من ف، وم، ور.

³ أنظر: الطبري، التفسير الكبير، 15\6. ابن أبي حاتم، التفسير، 704\3.

⁴ قصد به البيضاوي صاحب التفسير.

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ فُلْ فَأْتُوا
بِالتَّوْرَةِ فَآتَلُّوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93)﴾

أيضا لعموم قوله تعالى: فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ¹، ولا شك أن الانبياء عليهم السلام رؤساء أهل
الابصار فجاز أن يجتهد يعقوب، ويؤدى اجتهاده الى التحريم، فيحرم عليه من الطعام أحبه اليه.

¹ (والاجتهاد الأبصار |)ساقطة من ف وم. مقطع من لباية رقم 2 من سورة الحشر، وتاما الآية: هُوَ الَّذِي
أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ
فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ
الْأَبْصَارِ (2).

الخاتمة:

الحمد لله حمد الشاكرين الذاكرين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد أنعم الله علي بإنهاء هذه الرسالة، وأقدم ذكرا لأهم النتائج والتوصيات:

أولا: النتائج:

1. تميزت حاشية شيخ زاده باحتوائها على الكثير من الفوائد من العلوم المختلفة، فقد تضمن علوم القراءات، واللغة، العقائد وغيرها من العلوم.
2. كانت تعليقات شيخ زادة على تفسير البيضاوي مفيدة وتساهم في توضيح متن التفسير.
3. حاشية شيخ زادة تتميز بوجود الحس النقدي فيها..
4. يلاحظ اهتمام شيخ زاده بعلوم القرآن كأسباب النزول والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ.

ثانيا: التوصيات:

توصي الباحثة بما يلي:

1. استكمال تحقيق كامل الحاشية من قبل طلاب العلم.
2. أوصي بتكثيف دراسة الكتب الأصيلة في الكليات الشرعية لما فيها من الفوائد الجمة.
3. أوصي بإعادة تدريس علم النحو لطلبة العلم الشرعي، كي يسعفهم على قراءة ودراسة هذه الحواشي، والاستفادة من كنوزها.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الرقم	الآية	السورة	الآية بالرسم القرآني	الصفحة
1	85	البقرة	"وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَعِظَارٍ يُؤَدُّ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدُّ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75)"	49
2	87	البقرة	بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (76)	54
3	143	البقرة	{لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ}	52
4	18	آل عمران	{فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}	
5	52	آل عمران	إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77)	56
6	53	آل عمران	{وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ}	59
7	54	آل عمران	{التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ}	59
8	55	آل عمران	{سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ}	59
9	56	آل عمران	وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (78)	60
10	57	آل عمران	مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79)	62
11	58	آل عمران	{وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا}	64
12	59	آل عمران	وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80)	68

69	60	آل عمران	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81)	13
74	61	آل عمران	فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (82)	14
76	62	آل عمران	أَفَعَيِّرَ دِينَ اللَّهِ يَتَّبِعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83)	15
76	63	آل عمران	{قَلَمَ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا}	16
79	64	آل عمران	قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيِّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84)	17
79	65	آل عمران	قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيِّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84)	18
80	66	آل عمران	وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85)	19
82	67	آل عمران	كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (86)	20
85	87	آل عمران	أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (87)	21
86	88	آل عمران	خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (88)	22
86	89	آل عمران	إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (89)	23

89	90	آل عمران	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعَدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (90)	24
89	91	آل عمران	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (91)	25
92	92	آل عمران	لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)	26

فهرس المصادر والمراجع

- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط1، 1431هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق: ماهر حبّوش وآخرين.
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، ط الأولى 1424هـ - 2003م، المكتبة العصرية.
- الاندلسي، أبو حيان، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ط الأولى، - 1419 1998هـ، تحقيق: حسن هنداوي.
- ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط1، 1422هـ، دار طوق النجاة، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر.
- البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط1، 1420هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط الرابعة، 1418 هـ - 1997 م، مكتبة الخانجي، القاهرة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
- البلخي، مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ط الأولى - 1423هـ، دار إحياء التراث - بيروت، تحقيق: عبد الله محمود شحاته.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط الأولى، 1418 هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي.
- التوحيدي، محمد بن يوسف، البحر المحيط، 1420 هـ، دار الفكر - بيروت، تحقيق: صدقي محمد جميل.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الفتاوى الكبرى، ط الأولى، 1408هـ، دار الكتب العلمية.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، ط1، 1403هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، ط الأولى - 1422 هـ، دار الكتاب العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
- ابن جزبي، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، ط الأولى - 1416 هـ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، ط الأولى - 1422 هـ، دار الكتاب العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد، **عِنَايَةُ الْقَاضِي وَكِفَايَةُ الرَّاضِي عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِي**، دار صادر، بيروت.
- الخيمي، صلاح محمد، فهارس علوم القرآن الكريم لنخطوطات دار الكتب الظاهرية، مجمع اللغة العربية، دمشق. خزانة التراث، 949/55.
- ابن خالويه، مختصر في شواذ القراءات من كتب البديع، ص28، مكتبة المتنبّي، القاهرة. .
- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ط5، 1420 هـ، المكتبة العصرية، بيروت، تحقيق: يوسف الشيخ محمد.
- الرازي، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، ط الثالثة، 1420 هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الراغب، الحسين بن محمد المعروف، المفردات في غريب القرآن، ط الأولى - 1412 هـ، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، تحقيق: صفوان عدنان الداودي.
- رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا، **تفسير المنار**، 1990، لا يوجد طبعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، ط الخامسة عشر، 2002م، دار العلم للملايين.
- الزجاج، ابراهيم بن السدي، معاني القرآن، ط 1، 1408 هـ - 1988م، عالم الكتب، بيروت، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي.
- الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق، حروف المعاني والصفات، ط الأولى، 1984م، مؤسسة الرسالة - بيروت، تحقيق: علي توفيق الحمد.

- الزمخشري، محمود بن عمرو، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط3، 1407هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد زهرة التفاسير، لا يوجد طبعة، دار الفكر العربي.
- سركيس، يوسف بن إيلان، معجم المطبوعات العربية، ط: بدون، 1346هـ-1928م، مطبعة سركيس، مصر.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، دار القلم، دمشق، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط .
- السمرقندي، نصر بن محمد، **بحر العلوم**، ط بدون، المكتبة الشاملة.
- سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، ط الثالثة، 1408 هـ - 1988 م، مكتبة الخانجي، القاهرة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار، ، 1424 هـ - 2005 م، جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور، دار الفكر - بيروت.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، لباب النقول في أسباب النزول، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، تحقيق: الاستاذ أحمد عبد الشافي.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار احياء التراث، بيروت.
- الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل، مسند أحمد، ط الأولى، 1421 هـ - 2001 م، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون
- الصبان، محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ط الأولى 1417 هـ -1997م، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.
- الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط الأولى، 1420 هـ - 2000 م، مؤسسة الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر.
- الطيبي، الحسين بن عبد الله، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرّيب**، ط الأولى، 1434هـ، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي، الإمارات العربية المتحدة، تحقيق: حسن العمري
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، **جمهرة الأمثال**، دار الفكر، بيروت.

- ابن عطية، عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط الأولى - 1422 هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.
- الفارسي، الحسن بن أحمد، **الحجة للقراء السبعة**، ط الثانية، 1413 هـ - 1993م، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجاني.
- القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، ط الثانية، 1384 هـ، دار الكتب المصرية، القاهرة، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ط الأولى، 1411 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ط الثانية 1420 هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع، تحقيق: سامي بن محمد سلامة.
- المبرد، محمد بن يزيد، **المقتضب**، ج2 ص28، عالم الكتب. - بيروت، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة.
- مجاهد، مجاهد بن جبر، **تفسير مجاهد**، ط 1، 1410 هـ، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل.
- المعافري، عبد الملك بن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ط الثانية، 1375 هـ، 1955 م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي.
- المرادي، حسن بن قاسم، **الجنى الداني في حروف المعاني**، ط الأولى، 1413 هـ، 1992 م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، تحقيق: د فخر الدين قباوة - الأستاذ محمد نديم فاضل.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ط3، 1414 هـ، دار صادر، بيروت.
- النحاس، أحمد بن محمد، **إعراب القرآن**، ط الأولى، 1421 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم.
- النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد، **مجمع الأمثال**، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

- النيسابوري، محمد بن عبد الله ، المستدرک علی الصحیحین، ط الأولى، 1411 - 1990، دار الکتب العلمیة - بیروت، تحقیق: مصطفیٰ عبد القادر عطا.
- ابن هشام، عبد الله بن یوسف، مغنی اللیب عن کتب الأعراب، ط السادسة، 1985م، دار الفکر، دمشق، تحقیق: د. مازن المبارک / محمد علی حمد الله.
- الهروي، أبو عبید القاسم بن سلام، الأمثال، ط الأولى، 1400 هـ، دار المأمون للتراث، تحقیق: الدكتور عبد المجید قطامش.
- الهروي، القاسم بن سلام، غریب الحدیث، ط الأولى، 1384 هـ - 1964 م، مطبعة دائرة المعارف العثمانیة، حیدر آباد- الدکن، تحقیق: د. محمد عبد المعید خانا.
- الواحدی، علی بن أحمد، الوجیز، ص213، ط الأولى، 1415 هـ ، دار القلم , الدار الشامیة - دمشق، بیروت، تحقیق: صفوان عدنان داوودی.
- الواحدی، علی ابن أحمد، التفسیر البسیط، ط الأولى، جامعة الملك سعود، تحقیق: أحمد بن محمد الحمادی.
- الواحدی، علی بن أحمد، أسباب نزول القرآن، ط الأولى، 1411 هـ، دار الکتب العلمیة، بیروت، تحقیق: کمال بسیونی زغول.

فهرس الموضوعات

أ	إقرار
ب	الشكر والتقدير
د	Abstract
هـ	المقدمة
هـ	أولاً: أسباب اختيار الموضوع:
و	ثانياً: أهمية الموضوع:
ز	رابعاً: الدراسات السابقة:
ز	خامساً: مشكلة الدراسة:
ح	منهجية الرسالة:
ح	حدود البحث:
ط	خطة الرسالة:
1	الفصل الأول:
1	دراسة الحاشية
2	الفصل الأول
2	دراسة الحاشية
2	المبحث الأول: قيمة الحاشية العلمية وتوثيق نسبتها إلى المؤلف.
3	المطلب الأول: تحقيق عنوان الحاشية:
4	المطلب الثاني: توثيق نسبة الكتاب للمؤلف
15	المبحث الثالث: منهجية التحقيق:

15	المطلب الأول: منهج التحقيق:
17	المطلب الثاني: وصف النسخ المعتمدة:
20	المطلب الثالث: نماذج عنها:
20	نماذج من نسخة فيض الله أفندي المرموزة بـ "أ"
20	الصفحة من نسخة "أ"
28	الفصل الثاني
28	النص المحقق
80	فهرس الآيات القرآنية الكريمة
83	فهرس المصادر والمراجع
88	فهرس الموضوعات